عبقرية عنترة

تأليف
أحمد شرف الدين

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

رقم الإيداع

٩٩/١٦٤٣٠

يطلب الكتاب مباشرة من المؤلف

هاتف : ٤٣١٩٣٦٥ - ٢٠١٢٣٦٣ القاهرة

إهـــداء

لوجه الله عز وجل

ثـم

إلى الرجولة كقيمة وإلى الرجولة كمبدأ.. فما معنى ألا تتمثل قيمة الرجولة ومبدؤها كجوهر حَيٍّ في نفوس الرجال إلا أن يكون هذا المبدأ وتلك القيمة خيال واهم يداعب في نفوس البعض وعقولهم سفاسف المعاني لتزدان به كذباً وفجوراً..

أحمد شرف الدين

مقدمة

لم تكن حياة عنترة هى عبقرية عنترة وحسب، فحياة الفرد أو الشخص ـ أى شخص وأى فرد ـ ما هى إلا سطور يحياها في عالم يموج بأحداث يوجهها وتوجهه،لكن العبقرية الحقيقية في أن يحيا العبقري حياته ـ على أى وضع ـ من أجل هدف سام وغاية عليا تتحطم عندها أو في طريقها كل معوقات تمامها ونضوجها فيصل بها وتصل به إلى غايتها المرتقبة .

وحياة عنترة هى صورة من تلك الصور التامة الناضجة وغاية من تلك الغايات العالية وهدف سام سعى له وتأقلم معه فكانت حياة عامرة بكل معنى يجسد ملامح عنترة وصفاته، وهذا المعنى ثابت لا يتغير ولا يتبدل،لكن بلا شك ينمو وينضج عبر مراحل حياة عنترة وهو في كل مرحلة ناضج تام بما يلائم تلك المرحلة، وتمام النمو فيه أنه يتشكل ليستقيم على ذات المسار الذي ارتضاه قبلاً. فلا خلاف بين نفس عنترة العبد وعنترة الحر، ولا تضارب بين عنترة المحب وعنترة المحارب .

وحين نقول عنترة نقصد البطولة والإقدام ونقصد منها كل بطولة وكل إقدام من ذات الشئ ولذات الشئ،فحب البطولة ومعناها تتلاقى فيه وفيه تتلاقى عواطف الأبطال لا للبطولة فقط لكن لكل معنى يجسد الحب فيه مبدأ يراه البطل جديراً بالتوقير والتقدير، فالحرية ليست هى مطلب العبيد وإن كان لهم فيها مطلب إنما هى مطلب

الأحـرار العارفين لهـا القادرين على تلـبيـة وفهم جـميع مـتطلباتهـا وخصائصها وليست هذه ملكة تحتاج إلى الفـهم والتدبر قدر احتياجها إلى قدرة الإحساس والتقدير، وغاية العاطفة فيها هى غاية العقل حين نخلص بهما إلى أقصى الغايات أو إلى ذروة مطلبنا منهما .

والبحث في عبـقرية عنترة هو أشبه شئ بالبـحث عنها وما هذا إلا لشئ واحد يحتوى تلك العبقرية وتحتويه وهو صدقها وتصديقها برغم ما يعـترضنا من تضارب المصادر واخـتلاف الروايات فيهـا حتى لتكاد تصل بنا أحياناً إلى عالم الخيال غير المرهون بمنطق أو حقيقة تؤكده بل هى إلى النفى أولى منها بالتصديق وما النفى والتصديق إلا ضرب من الغرور يجتهد فيه الباحث ليعبر عما يراه فكره تجاه هذه المتناقضات.

وشعر عنتـرة رغم ذلك هو أوفى مصدر يتحـدث عن عنترة وأجدر مصدر تتلاقى فيه حياة عنترة بخطوطها وأحداثها ونوازعها ومشاربها، فـما من مـوقف أو حدث حـدثنا عنه ذلك الديوان إلا وكـان مجـال تصديقـه أقرب إلينا من مجـال نفيه، ودلائل وجـوده أقوى من دلائل عدمـه لا لأن عنترة هو قـائل هذا الديوان وراويه بل لأن طبيـعة هذه الأحداث أقرب إلى الواقع الذي عـاشته شبه الجـزيرة العربية في ذلك الحين، ولهـذا لم تكن هذه الفصـول بحـثاً في تاريخ عنتـرة ولا هى بسيرة أو ترجمة له فما نملك من أدوات التاريخ ما يجعلنا نؤرخ لعنترة بالجديد ولا نحن وقفنا لحـياته نستعرضـها بكل دقائقها ومواقـفها من لحظة مـيلاده حتى الممات كذا لم تكن تلك المواقف هى النبـع المباشر الذي نعـول عليه لتـفسيـر هذه الحيـاة،لكن في خلال هذا لم نـهمل التاريخ ولا أهملنا معاني السيرة العنترية ولم نبتعد عن ترجمة المواقف

التي تخبرنا بمدلولها ومعناها، وعلى هذا كان موقفنا من الروايات التي عرضت لعنترة لم نأخذها لظاهر معناها وما تقول حيث التناقض والإضطراب سمة فيها ووسم لها والمبالغة عنوانها بل تتبعنا دلالات فيها ومعان لها قد أوصلتنا إلى فهم عنترة من خلال رؤية خاصة بنا نرتضيها ونطمئن إليها ولا نخجل أن نعلنها مخالفين بها ما تعارف به الناس في عنترة .

ولقد اخترنا عنترة لنتحدث عنه ونقول فيه ما نقول لأننا نعيش في عصر اضطربت فيه القيم اضطراباً رهيباً وانهارت صورة البطولة بمعناها المستقيم فتلاشت من عقول الناس وافئدتهم فأصبحت لا معنى لها وأضحى البطل بطلاً من ورق يداعب غرائز الناس وسفاسف أحلامهم وغدت القيم والمبادئ لا قيمة لها، وها هو عنترة صورة من تلك الصور التي أعلت المبادئ وقدرت القيم في عصر الظلام فناضل وجاهد حتى انتصر للمبدأ والقيم .

أحمد شرف الدين

الفصل الأول

كلمة

[ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة][1]

كلمة لو قالها رجل لرجل لخشينا أن يكون ورائها دافع يهوى بتصديقنا له فيما قال، كلمة لو قالها رجل في رجل لأثارت فضولك وللعبت برأسك وفكرك من هذا الرجل ؟! ولماذا قيل فيه ما قيل ؟! وماذا قدم كيما يقال فيه ما قيل عنه ؟! ولن تعدم في كل ذلك ـ حال معرفتك بالقائل من هو وكيف يزن أحكامه على الناس، ومتى يقول فيكون لقوله وقع في ذات مستمعيه ونفوسهم قبل عقولهم لأن وحى الإخبار يخاطب النفوس ثم تمتحنها بعد ذلك العقول في صبر وترو، وليس في تناقض القيم فيصل ما دامت اجتمعت في شخص واحد وليس هذا ببعيد مستبعد أى مستحيل فهى باجتماعها أداة جذب وتأكيد لكل صفة منفردة وهى باجتماعها أداة صدق وتعظيم لاجتماعها فيه وله كل احترام وإعجاب مادامت تواترت أخبار صدقها وتصديقها ـ أن تعجب وتتعجب مما قال ولما قال .

هذا إذا كان المقياس مقياس رجل عادي يحكم على رجل مثله أى

---

(١) يقول الأستاذ سعيد مولوي في دراسته القيمة عن عنترة أنه قد سأل الشيخ الألباني عن هذا الحديث فقال أنه حديث معضل .

حكم لأى رجل يضيف له أو يأخذ عليه يرجو النقص أو التقدير .

فما بالنا والحكم ليس رجلاً عادياً يطرب لما يقال له فيؤخذ به فيصفه وصفاً يطبعه في هواه وعلى هواه وجده في صاحبه الذي يوقره أو هو استكثر عليه وصفه هذا في ظروف نشأته وبيئته فعظم في عينيه فأكسبه من إعجابه وصفاً قد يتزايد له وقد يوفيه حقه بلا نقصان، وليس الحكم بإنسان يأخذه سمت الإعجاب البادي فيصدر حكمه المتسرع قبل التأسف على انهيار صورة مثاليته في عينيه كيف انهارت وانقلب شعاعها فأوهى نظرته وحكمه.

والحكم أخيراً نبي ورسول صاحب دعوة أكبر من دعوة الإعجاب برجل ينحصر جل عمله في مآثر الدنيا ومطالبها، ويسقط الإعجاب لأنه يدعو إلى دين تعجب له عقول العباقرة العقلاء ويخر أمام حجته الفلاسفة النبهاء، والحكم حين يحكم لا تحكمه أهواء بشر ولا أغراض نفس لأن الهوى والغرض هنا ليس لهما قيمة أمام واقع هذا الحكم فهذا رسول أمين وذاك فارس دفين غيبه تراب القرون في تراب قبره.

الحكم هنا رجل مؤيد بالوحى الصادق والعقل الواعي الذي لن تفلت عنه صغيرة صغرت فيه أو كبيرة أكبرته في عينيه، الحكم هنا معلم لا يعلم جيلاً ولا أجيالاً بل يعلم الإنسانية كلها كيف تكون العظمة وكيف تكون البطولة، الحكم هنا ﴿ **لا ينطق عن الهوى** ﴾ نعم هنا إعجاب وإعجاب شديد، نعم هنا توفير أيده التدبير وهنا أيضاً حكم له في النفس والعقل الدليل،لكن حسبك والقائل هنا هو رسول الله ﷺ الوحي طلعته والإيمان ميزانه إذا حكم فليس لحكمه نقض ولا تبديل .

وإذا بحثنا عن الدافع الذي جعل الرسول ﷺ يحكم بمثل هذا على عنترة، وهي كلمة تحمل الحكم مثلما تحمل الإكبار وعنده من الرجال من أصحابه من يفوق عنترة قوة وشجاعة وعدلاً وإنصافاً وعزة واعتزازاً وفوق كل هذا إسلاماً وإيماناً فلن يعيك الدليل والبرهان، وما بالك وقائل هذه الكلمة ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ يعلم أنه يدفعها إلى أمة لن تتفلت أن تهتدي به وتقتدي ولها في نفوسهم وقع في أمر ما لأنه هو قائلها وهو قائدهم الذي يقودهم في جميع شئون حياتهم ودروبها صغيرها وكبيرها ويعلم جيداً مقدار حكم التاريخ المغيب حينما يفصح عن صفحاته المتجددة عبر الزمان، قالها وأصر على قولها في تعجب وافتخار، قالها لأناس يعرفون أقداره بينهم ويعلمون شيئاً وأشياء عن حياة عنترة بن شداد فارس العرب وشاعرها إن لم يكونوا يتمثلونها. قالها وتجسدت في قولته كل معاني العظمة التي تنطلق منها شذرات العبقرية في هذه الشخصية الحبيبة إلى نفسه وإلى نفوس كل العظماء الذين يقدرون الرجال بأقدارهم وأفعالهم لا بما يحاك لهم من قصص وروايات خيالية ترفعهم عند عامة الناس وشداة العلم إلى عنان السماء وهم في جوف الأرض كانوا. ولنا أن نسأل والسؤال يحمل طابع العجب والانبهار في كل حرف فيه ما الذي حدا برسول الله ﷺ إلى قول هذه الكلمة في عنترة ؟! خصوصاً وأنه لم يرو عن عنترة أنه قد اهتدى للتوحيد في عصر الشرك والضلال ولم يقاتل قومه من أجله، ولم يرو عنه شئ يدل على محاربته لجاهلية العرب العمياء ! بل ما أثر عنه أنه قد شاركهم جاهليتهم في بعض صورها في تعصبها المؤدي إلى الهلكة والفناء فكان نصيب قومه منها

أن تعالت به على قبائل العرب في حينه حيث كانت تضربهم به في كبر وتجبر فتنهب وتغتصب وتعلم أنه حاميها الذي يزود عنها بحياته، لكن ينبغي هنا قبل أن نبحث عن الدافع ونجري وراء الأسباب في ذلك القول الذي روي عن رسول الله ﷺ في حق عنترة ابن شداد أن نقول كلمة هذا وقتها وذاك موضعها: إن صاحب هذا الرأى ﷺ حين يحكم فلقد اجتمع لحكمه كل عوامل الإنصاف وأدوات الحكم التي تنزهه هو أولاً عن أحكام الغفلة وتنزه من حكم له عن النقص والابتذال الذي يناقض حكمه ويهدمه فليس في حكمه أدنى شك أنه حكم روى حكيم ودقيق وإن صدر في صورة المحب الشغوف الذي يتعلق قلبه وفكره برؤية عنترة فارس العرب .

سألنا عن الدافع والسبب الذي جعل الرسول ﷺ يحب أن يشخص له عنترة فيراه والدافع والسبب قد يظهران في طول هذا الكتاب لأن في كل جزئية من حياة عنترة دافعاً لأن يُحب وأن يُرى، وليس هناك مترجم يستطيع أن يحصي حياة من يترجم له إحصاء كاملاً بل هو يترجم له ما وقع تحت يده من أخبار، أما ما لم يقع وما ضاع فخارج عن حكمه مهما كانت معانيه. لكن كل هذا لا يمنعنا أن نقول أن الدافع لكل هذا هو مجمل صفات عنترة التي تحلى بها . .

نعم ليست صفة واحدة بل صفات متعددة اجتمعت لعنترة وتعاونت فيه وفي شخصه حتى ارتسمت بها صورته لجل في عين من رآه وذهن من لم يره وقد يقول قائل: فما بالنا والراوي كل تلك الصفات والأخبار عن الرجل هو الرجل نفسه،ألا يدفعنا هذا لأن نفكر بكل ما حدثنا به عن نفسه بل نزيد عليه الكذب والجنون النرجسى فما من

أحد إلا وهو منصف ذاته رافعها على كل الخلق مهما أوتى من ضعف وسـفه وضـلال، ومـا قولنا وقـد أصـيب شعـر عنتـرة بلعنة الوضع والإنتحال فوضع لـه ما وضع عليه فإرتابت فيه عقـول العقلاء وثالث يقول: إن مـا روى من صفـات عنترة خـيال مـثالي لا يلصق بعـضه لشخص متحـضر يعيش في عصرنا هذا فمـا بالنا بعنترة وهو البدوي الذي عاش عصره الجاهلي بكل معانيه وأحلامه طفولته وشبابه وهرمه كمعنى فمات يؤمن به،والرابع يقول ويشـايع في قوله غيره: فما بالنا نصدق بـوجود عنتـرة أصلاً فلربما كـان عنترة هذا أسطورة اخـترعـها العرب ليفرغوا فيها ثورة نفوسهم المعبدة للروم والفرس فيما قبل نزول رسالة السمـاء بالإسلام في شبه جزيرة العـرب. وهذا القائل لا يشنأ العرب ويحاربهـم ويحارب ضعفهم وتخـاذلهم للفرس والروم بل هو يحارب الإسـلام قبـلاً ويكذب الرسول ﷺ لكنه يرتب كـذبه ويزينه حتى يظن الجـاهل صلاحه ومروءتـه وليس هو بالصالح ولا من ذوي المروءة .

أما صـاحب القول الأول فلا يصـدق ذلك لكون عنترة هو الراوي بنفسه لجل صفاته وأخلاقـه في شعره ونسى أو تناسى أن عنترة وغيره من الشعراء الجاهليين هم من أصدق مصادرنا عن هذا العصر الجاهلي وأوثقـها. ثم لننظر إلى طبـيعـة الصـفات التي رويت عن عنتـرة من حاسديه وشانئيه وما روى عنه من محبيه ومريديه ثم لننظر ثانياً إلى ما رواه هو عن نفسه ثم نقارن بينهما مقارنة المنصفين العادلين ومن كان ذا عـقل في الرفض فليكن ذا عقـل في القبـول وهنا يظهر الصـدق من الكذب إن أيدت أخباره أو خالفتها .

أيضاً إن الشاعر فيما مضى وفي العصر الجاهلي على الأخص كان حين يتحدث عن نفسه يذكر محاسناً وعيوباً لنفسه ولا يرى في عيوبه نقصاً ـ كالذي نراه فيه ـ يشينه بل قد يتعاظمون ويتباهون بتلك المسالب والنواقص فهى تحمل تهديداً لأعدائهم ليخيفوهم بها فيفخرون بها بقدر ما يفخرون بمحاسنهم التي يعتز بها العقلاء، ثم أخيراً ما كان لعنترة أن يصف نفسه كل هذا الوصف بشئ لم يعرف له حقيقة وليس مما تعارف فيه الناس بهذا الوصف له وخصوصاً ولعنترة أعداء وإن لم يكونوا شعراء مثله وفيهم شعراء ـ لأتوا بمن ينقض عنترة صفاته وصفاً وصفاً ويظهر كذبه ونرجسيته، ولكن هذا لم يحدث ولم يرد من أعدائه ولا حاسديه ـ وهم كُثَّر في ذلك شئ، ثم إن العرب كانت تفخر بالبطولة وتعظمها وتقدرها قدرها وليس فخرها بالبطولة والتعظيم لها يرضيها أن يخرج عبد ذليل وجبان ضعيف ليدعى فيها مالا يستطيع أن يدعيه سادتها وكبرائها فتكف عنه لحبها الأول للبطولة إن لم يكن حقاً هذا بطل صنديد قد أخضع سادتها وكبرائها لعنفوان بطولته وفحولة شجاعته ومجد كرمه .

وصاحب القول الثاني مرتاب فيما أتاه من شعر عنترة فارس بني عبس وشاعرها لأنه قد سمع أنه أصيب أى شعره بلعنة الانتحال ـ سامح الله من تركها عائمة ليهدم وحى قوم وتاريخهم مقلداً فيها ادعاءات المستشرقين وهذا يجعل الشك يحوطه من كل جانب فليس لنا أن نأخذ به حكماً على أصحابه أو العصر الذي حكوا عنه والبيئة التي انتسبوا إليها، ولصاحب هذا الرأى نقول: إن ما وضع على شعر عنترة ونحل له قد شابه ما قاله عنترة نفسه وطالما صدق ما قاله له

وصح إليه نسبه فلن يضيرنا ما وضع على الرجل ولو كان ضعف ماله حقاً لأن وضعه لم يأت لنقيصه فيه بل وضع لفرط الإعجاب منه ومن أفعاله وصفاته وها قد بان ووضح ومنذ زمن بعيد ما للرجل حقاً وما ليس له من شعر والحكم في هذا لأرباب الصناعة الواعين لها .

أما صاحب القول الثالث فهو إنسان مثالي النزعة في حبه للعصر الذي يعيشه ويظن أنه هو أوفى العصور في الحكم على كل العصور وما لم يثبت له من سامي الصفات وأرفعها هى أولى بالنقض عن أى عصر مضى وسبق لا لشئ إلا لأنه هو العصر الذي يحيا فيه ذلك الشخص وصورته أمام عينيه هى الصورة الحقيقية لكل قضية يتباحثها ولذا فعنترة عنده قد وضع له محبوه صورة مثالية خيالية تبعد كثيراً عن الواقع والحقيقة فمستحيل على هذا الرجل أن يعيش طفولته وشبابه في هذا العصر الجاهلي وهو يتحلى بأخلاق وصفات عصر آخر .

ونقول لهذا سائلين: وهل عصرنا هو أوجب العصور وأوفاها للحكم على كل العصور ؟ وهل عصرنا هو أوجب العصور وأوفاها للحكم على الأخلاق والصفات؟ إننا لو تصورنا هذا لتصورنا وهماً باطلاً وزيفاً أكيداً ولو تصدرنا بعصرنا هذا للقيم والأخلاق وقارناه بعصور ولت لكان نصيب عصرنا منه صفراً أى الفشل المؤكد في أن يكون عصرنا هذا هو عصر الأخلاق والقيم بل أن الصفر هذا لعصرنا معناه بالنسبة للعصور الماضية قبح الفشل والانهيار والتدني لأننا في عصر نسميه عصر العلم والتكنولوجيا الحديثة المتطورة، فما بالنا ولم نستفد من تلك المعطيات لنقوِّم بها أخلاقنا ونهذبها وما بالنا لو قارنا أخطاءنا بأخطاء من سبقونا لوجدنا أن أخطاءنا هى أضعاف أخطاء

السابقين، إن ميزان الأخلاق ليس معلقاً بعصر دون عصر ولا بشعب دون شعب لكنه ميزان أدبي له مقاييس ووسائل وأهداف ترتبط في كل أمة بما يلائم مطالبها ومتطلباتها .

أما صاحب القول الرابع فهو مخدوع مخادع وليس له من خداعه وانخداعه إلا الخسران المبين، فالعرب بطبيعتهم هم أبعد الشعوب عن الأسطورة والأسطورة ليست من طبع العربي الذي يعايش همَّ الصحراء وقسوة خوفها بكل قوة وعناد ليزرع حياته وسط جدبائها القاحلة ويرمى بأسبابه عبر فيافيها ودروبها المترامية الأطراف، وما روى عنهم من خيال لا يرقى إلى مصاف الأسطورة كفن له معنى متكامل لتجسيدها في صورتها المثلى وهدفها المراد، فصاحب هذا القول يريد أن يفرغ العرب من تاريخهم وبطولاتهم كذا هو ينعت رسولهم الأمين بالكذب حينما يكون إعجابه هذا بعنترة إعجاب الغر بكذبة أسطورية ليس لها حقيقة واقعية وضعت عليها فصدتها وكأن الوحى المؤيد به لا يعرف وجود عنترة هذا من عدمه. . ! .

لكن ما بالنا نذهب بعيداً وقد قلنا قبلاً إن الحَكَمَ صاحب هذا الإعجاب هو رسول الله ﷺ وهو بهذا القول لم يحكم في قضية أدبية بل حكم في وجود صاحب تلك القضية وحياته. أفيأتي بعد ذلك مدع لينقض قول سيد الخلق أجمعين قائلا: إن شخصية عنترة هى أسطورة وخيال من خيال بناها الخيال العربي في فترة ما ليتخلص من قبضة الفرس والروم وهل كان للفرس والروم قبضة على العرب؟ وهل كانت نفوسهم معبدة ذليلة لهم؟ قلنا ونعيد ما قلناه: إن سبب قول

رسول الله ﷺ هذا الكلام فـي عنترة هو مجـمل صفات عـنترة التي تحلى بهـا وتميز بهـا عن أقرانه من الفـرسان والشـعراء، وللسـائل أن يسأل: ألم يجـتمع لغير عنتـرة من العرب الجاهليين ما اجـتمع له من صفات نفسية وأخلاقية .

والحقيقة أنه قد اجتمع لغـير عنترة ما اجتمع لهم من صفات أيدت مواقف شـهرتهم ورسـمت خط خلودهم فلم ينتـقص منهم حق ولا ضاعـت عنهم فرصـة كانت لهم ولقـد وزنهم التاريخ بما لزمـهم من صفات وأفعال فجاءوا على قدر أقدارهم بلا نقصان ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾. أما عنترة فلو صاحبتـه صفة من الصفات التي وزن بها في عصره لرجحت بميزان خلوده عبـر الزمان، إن فارساً ففارس وإن بطلاً فبطل وإن رجـلاً فرجل وإن شاعـراً فشاعـر وإن حكيمـاً فحكيم وإن قائداً فقائد ليس من ذلك شك لكنها ـ أى تلك الصفات ـ تطبع بطابع عنترة وشخصه فـيقال فروسية عنترة فتكون فـروسية ذات طابع خاص بـه لا تلزم غيره إلا تقليداً والمقلد لن يصل مهما نجح في استعارته إلى حقيقة مـن قلده وكذا لو قلنا بطولته وشجاعته وشاعـريته إلى آخر ما وصف به الرجل .

قلنا ونردد ما قلناه سابقاً إن مجمل صفات عنترة هى صاحبة مقياس قول الرسول الكريم فـيه وحكم عليه،لكن ما هى صـفات عنترة التي تحلى بها ؟

ليس من الإنصـاف أن نتكلم عن صـفات الرجـل في كلمة عـابرة لنشبع بها نهم القارئ وفـضوله بل نفرد لها فصلاً كاملاً ونـتروى فيما نعرض له حـتى نوفيه حقـه فهى إجابة يحملهـا الكتاب كله بدلالات وإشارات تحمل للرجل وتحمل عليه .

لقد عاش عنترة في عصـر الفوضى والاضطراب ولم يكن فوضوياً ولم يكن مضـطرباً بل ناقضت صفـاته وأخلاقـه معناهمـا وعاش في عصر الجهل ولم يكن جهولاً بالرغم من استماتته في الدفاع عن قومه والزود عنهم في جاهليـتهم وجهلهم، وعـاش عصر السـيطرة والكبر والانحطاط وامتلك وسائل هذا كله وأبى أن يسيطر سيطرة الضعيف أو يتكبر تكبـر الذليل أو ينحط انحطاط الفاسـدين، رجل دعته السـيادة ليتسيد فيرفض حتى لا يشعـر يوماً أنه تسيد على صغير ضعيف مكره على ضعفه وفضل عليها مقـارعة الأسياد بالحجة طوراً وأطواراً بالشدة واكتسب عدائهم، رجل أتته الدنيا بأصفرها وأحمرها فما أعارها أدنى اهتمام لأنه هو الذي أتى بها وموضعها حذو النعل وليترك غيره يلهث ورائها من أسياده الذين حاولوا أن يذيقوه ذل العبودية، رجل صاحب قضية صاحبها عمره وبذل فيها كل غال وثمين ولم يكل ولم ينهار مع أن أجيالاً سـبقته إلى الانهـيار وشعوباً ملت وكلت فـتخلت عن ذات القضيـة التي جاهد فيها ودافع عنهـا حتى نالها بعزة نفسـه واعتزازه، رجل تطحنه الحياة فلا تعنيـه نفسه بقدر ما يعنيه ألم الضعـيف فيشغله عن أله، رجل لو عاصر الإسلام وقت نزول وحيه على رسوله الكريم ما كنا نشك ألا يكون عنترة من أوائل المدافعين عنه دفـاعاً يفوق مطلبه الأول للحرية ويفوق حبه لبني عبس وتعصبه لها .

إن كل ما اجتـمع لعنترة العبسي الجاهلي من أخـلاق وصفات هى أخلاق وصـفات تماثل وتدنو من أخلاق المؤمن القـوي الذي يقوى به دينه ومن هنا قال الرسـول ﷺ ما وصف لي أعرابي قط فأحـببت أن أراه إلا عنتـرة، ولك أن تقول في هذا أنه دافع من دوافع حب الـقوة

والبطولة حين يتمثـلها الأبطال وحين ترتسم بها شخصـية الإنسان في الزود والدفاع عن حيـاضه ومعتـقده لا يرده عنها قوة أو سلطة مـهما كانت هذه القـوة وتلك السلطة، دافع له في النفس أسـباب، وله في أسبابه مـعتقد وله في مـعتقده إجلال وتوقـير يسترخص فـيه كل غال وثمين يدفعه للنكوص والتراجع عن نصرته أياً كانت تلك النصرة .

* * *

الفصل الثاني

اسم ولقب

وليس سباعُ البرِ مثلَ ضباعه

ولا كل من خاضَ العجاجةَ عنتر

سلْ المشرفي الهندواني في يدي

يخبرك عني أنني أنا عنترُ

ولقد شفي نفسي وأبرأَ سِقَمها

قيل الفوارس ويكَ عنتر أقدمِ

يدعون عنترَ والرماحُ كأنها

أشطانُ بئرٍ في لُبَانِ الأدهمِ

وأحملُ فيهم حملةً عنتريةً

أردُ بها الأبطالَ في القفرِ تنبج

تساءل الناس ومازالوا ما اسم عنترة ؟ وكأنهم يأبون أن يكون هذا اسمه - عنترة !! وحس الناس غالباً صادق فيما طبعت عليه نفوسهم من غرام بالمجهول والبعيد الموغل في بعده بأسراره والظن في التفسير والاستبيان وكشف اللثام عنه، وما يسترعي انتباه الناس ليس غريباً ولا هو مما يخالف الفطرة السليمة،وهو في حده وجه من متطلبات العقل

حين يتدارس ما يقع له من مفاهيم تخوض فيما خاض فيه الناس من قبل بالظن والتخمين لكن حينما يبحث العقل فيما يبحث فيه ظن الناس، والتخمين لا يسعى لذات النتيجة التي سعوا إليها بل يلكون له مطلوب أعمق ودلالة أبين وأشمل هنا في استبيان شخصية هذا البطل الذي نرصد له صورة ونترصدها في كل موقف نقفه معه وفي كل لمحة ونظرة، وهذا لأن دور العقل وأداته أثبت من دور الظن والتخمين وأداتهما.

وحينما نقول بعد ذلك: أننا نبحث في عنترة في اسمه الحقيقي الذي سمى به فكان عَلَمَه الذي سمى به منذ ميلاده وعرف به بين أقرانه في قبيلة بني عبس نكون بذلك قد سلكنا طريقاً غير طريق العقل وخالفنا منهاجه ودربه فليس من بين المصادر التي حدثتنا عن عنترة ورويت عنه مصدر واحد يذكر لنا مؤكداً مسماه وعلمه! بل من المصادر من تسميه عنترة وتصر على تلك التسمية كإسم له لا لقب!.

وإذا كان لتلك التسمية دلالتها فهناك دلالة أخرى تصاحب من قام بتسمية عنترة بهذا اللفظ وذاك العلم وهى أن صاحب تلك التسمية - إن كان لها صاحب ذو بصيرة نافذة وإلهام محدث في سبر أغوار النفوس منذ ولادتها ولذا فلقد اختار لعنترة هذا الإسم ليعرف به.

فهل الذي سماه بهذا الإسم أمه زبيبة أم أبوه شداد أم هو غيرهما ؟

وإذا أردنا جواباً سليماً صائباً على هذا السؤال علينا أن نتبصر - قبل أن نجيب عنه - عن وضع العبيد في تلك البيئة وهل كان يعد العبد قبلاً للحروب والقتال والفروسية ؟.

إن واقع العرب يخبرنا بخلاف ذلك، فالعبيد ما كانوا يعدون إلا لخدمة أسيادهم وطاعتهم، والسادة بدورهم كانوا يعلمون أن دفع العبيد للحروب والقتال وخوض المعامع والبطولة والفروسية معناه ابقهم وانقلابهم على سادتهم وفتح الطريق لهم إلى الحرية، وإن عبداً واحداً يتحرر معناه فتح الباب للحرية لكل العبيد. . .

فإن كانت أمه زبيبة هى التي أقدمت على تلك التسمية فهل كانت عبس تتركها لتسمية بهذه التسمية التي ظاهر دلالتها البطولة والإقدام وخوض غمار الشدائد دون أن تردعها وهى المرأة التي قيل أنها شريفة الأصل والنسب وقد أسرت في إحدى المعارك وكانت من نصيب شداد بن قراد كأمة يتسلى بها في خدمتها له، ثم لنسأل أنفسنا أليس لعنترة إخوة آخرون من أمه وقد يكونوا من أبيه فلماذا لم تحرص زبيبة على تسميتهم بألفاظ تحمل دلالات ومعاني البطولة والإقدام مثلما سمت عنترة ؟.

نقول هذا لأن لفظة عنترة لها معاني خاصة في المعجم العربي لا يعرفها إلا ذواقة للعربية من خالص أبناءتها الأنجاب والأريب فيها، هذا وما كانت زبيبة لتنتقي لابنها هذا الإسم العربي القح وهى تبحث عن الحرية وتصر عليها لها ولأبناءها. . هذا على معناه ودلالته المعجمية وليس على معناه العنتري، بل كان الأجدر بها أن تنتقي له اسماً من أسماء أحد أبطال وفرسان قبيلتها الحبشية لتربط وليدها بعشق الحرية والتفلت من أسر العرب وتزرع فيه التمرد والإنشقاق بل كانت تتعمق أكثر في تمردها فلا تطلق عليه لفظاً عربياً فينشأ بين أسياده بسمته الخاص المخالف للعرب، لكن ربما كانت زبيبة على وعى بما تفعل أكثر

من وعينا نحن في استخلاص معنى مـا تفعل، ومن هنا فنحن نستبعد أن تكون زبيبة هى التي أطلقت على ابنها هذه التسمية، بل هى كإمرأة وقعـت في الأسر وذاقت الذل وهى ضـعيـفة منكسـرة لن تذهب في مخالفة أسيادها إلى ما يجلب عليها ضرراً أو على أبناءها .

لكن بعيـداً عن كل هذا ما كانت زبيبـة لتترك ابنها دون أن تسـميه حتى يأتي غيـرها ليسميـه لها فيختـار له الإسم الذي عرف له، لكن المرجح هنا أن زبيبـة كأى أم وكأى أمة فـي زمانها أنجبت من سـيدها وجاء ابنهـا أسود اللون فإن سيـدها لن يعترف بهمـا وليس لها إلا أن تسمية بأسماء العبيـد المتعارف بها لهم في تلك القبيلة ولا تتجاوز هذا إلى غيره حتى لا تحمل ابنها مالا طاقة له به.

إذن فلربما كان شداد أبوه هو الذي سماه عنترة ؟!

ولكن كيف وهو الـذي تخلى عنه منذ دلالته ومـا كان ليعـترف به لولا ضغوط عنتـرة عليه ولولا ضغوط نفـسية وعقلية عـايشها الرجل بعدمـا علا نجم عنتـرة فارساً وبطلاً مـقداماً ومنـذ متى كان الأسـياد يهتمون بتسمية عبيدهم وإمائهم؟! .

أما ما قيل عن نسب عنترة لشداد وارتباطه به وغلبته عليه هو نسب ابن لأبيـه مسـماه من مـسماه فـهذا شئ ليـس مقيـاسه الصـدق في موضـوعنا هذا بل للمجازية دور فـيه فلربما سهل اللقب بعـدما أطلق عليه وجرى على ألسنة الناس فاستحسنوه لخفته وتلائمه فألصق بشداد سيـد قومه، ولسنا بذلك ننفي نـسب عنترة لأبيه شـداد بل نبحث عن تعـارف اللقب له حتى يجـتمع له الشـرف من جانبين شـرف البطولة والفداء وشرف السـيادة، والمقارنة في خلود لقب عنترة وضيـاع لاسمه

الحقيـقي هى في هذا الجانب أولى لسهولة اللقـب عن الإسم ولموافقة هذا اللقب لمواقف عنتـرة كـذا لشيـوع هذا اللقب بالشـهرة والعظمـة فأهمل مسماه الحقيـقي أمام لقبه الممجد له والذي هو في ذات الوقت رهبة لأعدائه وليـس هذا بمستغرب ولا هو بمستـبعد عن طبيـعة العقل العربي واللغة العربية حين تؤثر الخفة والسهولة في النطق والمعنى .

قلنا هذا الكلام وأصـررنا عليه لأنـنا في دخيلة أنفـسنا لا نستـريح مطلقاً ولا نرتضي أن يكون عنترة هو اسم علم لهذا البطل المقدام لأن في الرضى بهذا ظلم له وللبطولة والفروسية والشجاعة وإجحاف لحقه فيها بل هو لقب أطلق عليه ولقب به في فترة ما بعدما عرفت له هذه البطولة بصفاتها فارتضته له عبس لقباً يليق به وبهيبته في نفوس أعدائه لتجـسد لهم الموت في لقـبه مثلـما يجسـده هو لهم في سيـفه، لكن ليست عـبس هى التي أطلقت عليه هذا اللقب من عنديات نفسـها بل صاحب هذا اللقب أعلم بنفسه وبلقبـه الذي ارتضاه لنفسه! نعم عنترة هو الذي سمى نفسه بهذا اللقب وليس هذا بمستغرب على شاعر عربي أن يختار لنفـسه لقباً يجسد فـيه معاني بطولته وعظمـته. نعم هذا ما نعتقده ونـؤمن به حين نبحث فيمن سمى عنترة ولقـبه بهذا اللقب بل لم نجد من الأسباب ما يجعلنا نميل لغيره ولنا أن نبحث بعد ذلك عن معنى هذا اللقب ودلالته حتى نتبين فيه سمت عنترة ورسمه

وأحمـلُ فيهم حملـةً عنتريـةً　　　أردُ بها الأبطالَ في القفرِ تنْبجُ

فعنترة في معاجم اللغة لفظ يطلق على الذباب الأزرق .

وهو عند بعض الناس الصخرة السوداء المنحـدرة من شاهق بسرعة وقوة مدمرة .

وهو عند البـعض أيضاً السلوك والخـوض في الشدائـد والشجـاعة والإقدام في الحروب ببسالـة .

والمعنى الأول هو مسماه المعجمي الذي نعتمد عليه في تعليق دلالته له ونرى أن هذا المسـمى المعجمي هـو أسبق وأولى في دلالتـه ومعناه لعنترة من غـيره من المسميـات ولإن كل مسمى بعـد ذلك مبني على نسب معنى لعنترة ذاته غير مسماه الأول فهو موضوع لعنترة لمعنى وهو النبع الذي يخرج منـه كل معنى له، ولن نعدم أن نقـول بعد ذلك إن كل مسمى له دلالة خاصة منفـردة تبين وتظهر جانب من جوانب هذا الفارس. . وإذا سألنا أنفـسنا ـ وهذا ضروري ـ متى أطلق هذا اللقب على عنتـرة ؟ نقول: إن إطلاق هذا الـلقب عليه لم يأت إلا بعـد أن أظهر عنتـرة قدرة ومهـارة جبارة وإنمـاز بميزات خاصـة تفرده عن كل فارس في عصره وتجعل أعدائه يرهبون جانبه كل الرهبة التي تمكنه من اقتـلاعهم،أطلق عنتـرة هذا على نفســه وجاراه في ذلك جمـيع أبناء القبليـة . . . عنترة . . . أى الذباب الأزرق وهذا لقـب له دليل أقوى من مسمى لفظه، فهـذا النوع من الذباب لا يتواجد إلا في المقابر بين القبور عند جثث الموتى. حتى أن الناس تعارفت مثلاً فيما بينهم قائلوه فيـقولون: الذباب الأزرق لن يعرف له طريقـاً. . . فكأن عنترة بنزوله إلى أرض المعركة يحـيلها إلى مقبرة لأعـدائه ويحولهم إلى جثث من الرهبة والخوف ثم يحوم حولهم ليذيقهم الموت بلدغات سيفه البتار. . وهذا المعنى هو الأسبق له والأولى به لفرط شجـاعته وقوة بأسه ونيله من أعدائه بكل سهولة ويسر .

وقد يكون لذات المعنى بذلك اللفظ قصة مـثل أو قصة موقف بعينه

نجهل حقيقته لكن لا نجهل معناه وأنه سبب في هذه التسمية لعنترة.

والمعنى الثاني لعنترة وهو الصخرة السوداء المنحدرة من شاهق في شدة وقوة مدمرة فنرى أن هذا المعنى وصف حقيقي لأسلوب عنترة وطريقته في خوض المعارك فعنترة لم يكن يدخل المعركة من بدايتها بل يتمهل ليرى ويدرس أعدائه جيداً ويحدد لنفسه مدخلاً ومخرجاً ثم ينقض فجأة في سرعة وقوة ويكون في انقضاضه هذا قد تصيد فرائسه من بين صفوف أعدائه فيختار فوارسهم التي في قتلهم تدمير لسائر صفوف الأعداء.

وأما **المعنى الثالث** لعنترة والذي هو خوض المعارك والشدائد والأهوال في قوة وشجاعة فلا أعتقد أنه قد أطلق على عنترة بل أخذ منه ليلقب به كل بطل يظهر إقداماً وشجاعة ومهارة في القتال فكأنهم يطبعون هذا الرجل بعنترة فارس العرب، وهذا ليس غريباً على لغة العرب فلقد يدل بالموصوف على الصفة وعنها حينما تنصب الصفة لفرد على مقياس غير عادي وغير معهود في غيره مثلما نقول هذا رجل عمري أو هذا رجل عنتري نقصد بذلك رجلاً عادلاً أو رجلاً شجاعاً، فالعدل صورته العليا في عمر بن الخطاب رضى الله عنه والشجاعة صورتها في عنترة عالية وعظيمة وغير معهودة بغيره مثلما وصلتنا أخبارها في عنترة .

فالتناقض والتباين هنا بين هذه المسميات الثلاث غير وارد ولا معهود بل تعدد تلك المسميات لهو دليل على تأكيد تلك البطولة حين تنفرد وتتفرد على غير مثال ومن هذا المنطق نعتقد أن لقب عنترة هذا لقب له وليس هو إسم سمى به منذ ميلاده ولم تكن زبيبة ولا شداد

أو أحد من بني عبس هم من أطلقـوه عليه بل عنترة ذاته بما يمتلك من مفردات اللغة ومـعانيها وبما تمكن وحقق من بسالـة وشجاعة هو الذي نزع لقبه هذا من داخل المعجم العربي فـصار علماً له يحمل الإعجاب له ومنه ويحمل لأعدائه الخوف والرهبة .

* * *

الفصل الثالث

عقيدة عنترة

حرصتُ على طولِ البقاءِ وإنما مُبْدِي النفوسِ أبادَها ليُعيدها
قسماً بالذي أماتَ وأحيا وتولى الأرواحَ والأجساما
يا عبل أين من المنيةِ مهربي إن كان ربي في السماء قضاها

إن البحث في طبيعة الحياة الدينية في العصر الجاهلي في شبه الجزيرة العربية يدفعنا إلى القول بأنه كانت توجد لديهم ـ أى عرب الجاهلية ـ حرية اعتقاد علاوة على أن المجتمع كان يحمل صوراً لهذه الحرية الدينية فقد حمل المجتم لها مقومات وجودها وبقاءها وتعايشها معاً في يسر وسهولة بلا منازعات، هذا وإن طبيعة العربي نفسه وعلى الأخص في ذلك الوقت ـ كانت من ضمن هذه المقومات التي عملت على هذا الإتساع العقائدي، ولو تساءلنا عن المعتقد الذي يعتقده كل منا لوقفنا عند منزع عام يجمع الخلائق كلها على فطرة سواء ـ أى فيها استواء واعتدال في انطباعها النفسي واتفاقها العقلي وهى أن هناك قوة عظمى قد خلقت هذا الكون وأوجدته وهى التي تدبر أمره بإحكام، لكن في مقابل ذلك تذهب العقول فيها كل مذهب وتتنازعها النفوس على حسب صفائها ونقائها فالمؤمن يتلاقى عقله في بوتقة الإيمان فتصفو نفسه لحقيقة التوحيد صفاء خالصاً، والكافر يرفض بعقله معطيات الإيمان فتنزع نفسه للاضطراب والضلال .

وإذا تصفحنا ديوان عنترة وطالعناه وجدنا فيه صوراً من تلك الحياة الدينية التي وجدت في ذلك المجتمع آنذاك بل نجده يعرض ويصور لنا أحوالاً وأوضاعاً لتلك العبادات، فلقد عرض للحنفاء والمسَلِّمين بالقدر والنصرانية وعابدي الأصنام .

فلا تكفرْ النعمةَ وآمنْ بفضلِها ولا تأمننَّ ما يُحْدثُ الله في غـدِ

إذا كـان أمـرُ الله أمـراً مـقدراً فـكيف يفـر الـمرءُ منه ويـحذر

تمشي النعامُ بـه خـلاءَ حولـه مشى النصارى حول بيتِ الهيكلِ

تجللتني إذ هوى بالعَصَى قبلي كأنها صنـمٌ يعـتـادُ مـعكـوف

سجدتْ تعظمُ ربها فتمايلتْ لجلالـهـا أربـابُـنـا الـعـظـمـاءُ

ولكن النظرة الأولى لهذا المجتمع الجاهلي تجعلك على قناعة تامة بأن عبادة الأصنام كان لها نصيب الأسد من بين تلك العبادات،وأعتقد أن من أسباب ذلك وجود الأصنام في الكعبة قد ثبت لها هذه المكانة حيث أن حقيقة العبادة لم تكن للأصنام بل اتخذت قربى ووسيلة إلى الله عز وجل ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ علاوة على أن التعصب القبلي قد جعل كل قبيلة تتخذ لها صنماً تتمسك به ويكون لها رمزاً ترفعه فوق أصنام غيرها من القبائل الأخرى، ويجب أن نتمثل هنا مبادئ الاضطراب من صنم جاءت قدسيته من وجوده بالكعبة لا من حقيقة ذاته ووصفه وصنم تمسكوا به لارفعه له به تعصباً للقبيلة وكأن الأصنام هنا قد أصبحت رموزاً للقبائل لا عنواناً للعقيدة والعبادة،وسوف يثبت هذا الاضطراب جلياً في موقف عنترة من عبادة الأصنام. ولا تنتظر مني أيها القارئ أن أرفع لك عنترة وأسله مما كان

يعبد أباؤه وأجداده فإن هذا لو حدث فسأكون أول من يخدعك وأول من يتلاعب بك لكن دعني أعرج بك على دواوين بعض شعراء الجاهلية لأبين لك حقيقة هذه الأصنام التي عبدوها في نفوسهم وقدرها عندهم، فاسمع معي إلى امرئ القيس يهاجم «ذا الخلصة» صنم قومه حينما رفضت ـ أى الأصنام ـ أخذه بثأر أبيه فرمى الأقداح في وجهها وصرخ فيها قائلاً :

لو كنتَ يا ذا الخلصةِ الموتورا
وكان شيخُك المقبورا
ما نهيتَ عن قتلِ العِدَاةِ زورا

فهذا صنم امرئ القيس صنم أناني كاذب لا يستشعر نفوس عابديه ولا يتفلت إلى مطالبهم العادلة في الأخذ بالثأر، وهذا صنم كنانه يسمى «سعد» أتاه رجل بإبل له ليتبرك به ويبارك إبله فنفرت منه الإبل وفزعت وولت هاربة ترجوا النجاة فاغتاظ لها صاحبها ورفع صوته على سعد قائلاً :

أتينا إلى سعدٍ ليجمعَ شملنا ... فشتتنا سعدٌ فما نحن من سعدِ
وهل سعدٌ إلا صخرةٌ بتنوفةٍ ... من الأرضِ لا يدعو لغيٍ ولا رشد

فالرجل قد كفر بصنمه وتبرأ منه من أجل إبله التي أفزعها سعد هذا، وهذه بنو حنيفة قد كان لها في الجاهلية صنم من حبيس «عجوة» عبدوه طويلاً ولكن الجوع كافر ـ كما يقال بالمثل ـ فانقلبوا عليه في زمن المجاعة فهو إله عاجز لا ينفع وقت الشدة ولذا عاقبوه فالتهموه فقيل فيهم :

أكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحمِ والمجاعة

لم يحذروا من ربهم سوءَ العواقبِ والتباعة

إذا لم تكن الأصنام في حد ذاتها هى المعبود المقدس الذي يقبل العربي ويرضي أن يخر لها ساجداً طائعاً في جميع مواقفه وأحواله بل هى ما هى إلا أداة لشئ آخر، فقد تكون أداة للزعامة أو أداة اقتصادية للغنى والثروة أو أداة اجتماعية لهدف ما تهدف له القبيلة وترتضيه العامة أما أن تكون معبوداً خالصاً فهذا عند السذج البلهاء منهم.

وقد كان لعبس صنم وكانت لهم عبادة في الجاهلية ذكرها عنترة في شعره

سجدتْ تعظمُ ربَّها فتمايلتْ لجلالِها أربابُنا العظماءُ

تجللتني إذ هوى بالعصا قِبَلي كأنها صنمٌ يعتادُ معكوف

وعنترة هنا قد بين كيفية عبادة تلك الأصنام فهى ما بين سجود وعكوف وجثو وقيام، وحقيقة لم يرد عن عنترة أنه ثار وانقلب على أصنام بنى عبس بالرغم من أنه كان كثيراً ما ينازعهم ويخاصمهم وهم كذلك، لكن ما تعجب له حقاً أنك حين نبحث عن الأصنام في شعر عنترة تجدها في موضعين فقط وهذا عجيب إذا قيس بورود لفظ الجلالة في شعره بلفظه ومعناه في عدة صور منها القسم والدعاء والتعجب والبيان .

واللهِ ما يمضي رسولاً صادقاً إلا السنانُ إذا الخليلُ تبدلا

سقى الله عمِّي من يدِ الموتِ جرعةً وشلتْ يداهُ بعدَهُ قطعِ الأصابعِ

ألا لله دَرُّك مــن شــجــاعٍ   تــذلُّ لـهـولـه أُسْدُ الـبقـاع

إذا كـان أمـرُ الله أمـراً مـقـدراً   فـكيفَ يـفـرُّ الـمرءُ منه ويحذر

وهذه الكثرة في ورود لفظ الجلالة في شعـر عنترة جعلت أصحاب قضـية الإنتحال يشـكون فيه وليس هذا في نظرنا لسـبب كاف لرفض شعر الرجل بل لن يضرنا أن يقال وضع على شعر الرجل فلو سلم لنا مرة واحـدة في موضع واحد لعولنا علـيه في استنطاق مراد مـعناه أما غير ذلك فمعناه أننا نلقى بديوان عنترة في البحر غير أسفين عليه.

لكن ما حقيقة موقف عنترة من الأصنام وعبادتها ؟

إننا لو تحدثنا عن عنترة وعرضناه، عاكـفاً على «العزى أو الأقيصر» صنما عبس في الجـاهلية ما كنا ظالمين له ولا كان الرجـل ظالما لنفسه بعبـادته لتلك الأصنام، بل الظلم أن نصـور عنترة على غـير حقـيقـته ونلبـسه ثوباً ليس له، ومـا نريد أن نقوله أن عنتـرة قد فطن لحـقيـقة الأصنام ومعنى عبادتها وعرف جـيداً الرابط الذي يربطه بها، فما هى بآلهة تعبد لذاتهـا بل هى رمز للقبلية التي يحبهـا ويتعصب لها، ومن هنا فلا تسـتغرب إن وجـدت الرجل يسخر منهـا في جرأة لأنه يعلم حقيقتها جيداً وأنها أحجار رصماء .

سـجدتْ تعـظـمُ ربَّهـا فتمايـلـت   لجـلالِـها أربابُـنـا العظـمـاءُ

فهـذه الأحجار الصمـاء تلبسها الروح حين تـأتي إليها عبلة مـقبلة عليها فتنسى نفسـها وقدسيتها وهيبتها وتنحني لعـبلة تقديساً وتعظيماً فبدلاً من أن تسجد لها عبلـة تسجد هى لعبلة، فصنم عنترة هنا صنم طائش تخلى عن ألوهيته وجـرى وراء نزواته ونسى أنه إله يعبد، ومن

هنا فـأصدق مـا يقال عن عـلاقة عنتـرة بالأصنام أنهـا علاقـة تسليم بوجودها التسليم الغير ملزم بعبادتها وتقديسها .

ولو تسـاءلنـا عن عنتـرة الذي سـخـر من الأصنـام لماذا لم يدخل النصرانية وقد كان على علم بها، وورد في شعره ما يدل على معرفته بهـا، وعنترة رجل ذو عـقل واع مـدرك لما حوله وذو ثـقافـة عاليـة واستـقلالية تامة تـؤهله لاختيار عـبادة ترضيـه، وليس هذا بدعاً في عصره وبيئته ؟؟ وحقيقـة ذلك أن أسباباً كثيرة وراء هذا منها أن عنترة رجل واع مـدرك صاحـب ثقافـة واسـتقـلاليـة تامـة تؤهله للغـربلة والتمـحيص، والمسـيحـية قـد أصابهـا التحريـف والتبديل والـتزوير وأصبـحت عقيـدة مقطوعـة وعبادة مـضطربة في جوهرها لا يقـبلها أصحاب العقول السوية، وسبب ثان أن المسيحية في مبادئها وتعاليمها التي تدعـو إلى التسامح والـعفو والغـفران في صـورة مثالـية هى مما يخـالف طبيـعـة العربي في ذلك الحين وهذا فـي نظر عنترة ضـعف واستسـلام وخضوع وشخـصية عنترة تعشق الحـرية والقوة وتأنف من الضعف والخنوع وهو لا يبيت على ضيم مطلقـاً بل متعلق بثأره حتى أخر لحظة من عمره وها هو حين عاين الموت يوصي قائلاً :

إن ابـن سلمـى فـاعلموا عِنْدَه دمـي
وهيهات لا يُـرجـى ابـنُ سلمـى ولا دمـي

يحـلُ بـأكـنـافِ الشـعـابِ ويـنـتمـي
مكـانَ الثـريـا ليـس بـالمتَـهـضِّـم

رمـــانـــي ولـم يدهشْ بأزرقَ لـهـذمِ
عـشـيـةَ حلـوابـيـن نـعـفٍ ومـخـرمِ

وثالث الأسباب التي منعت عنترة من دخول النصرانية هو حالة التناقض والاضطراب التي وجد عليها رجال الدين النصراني مبتعدين فيها عن تعاليم ومبادئ عبادتهم وقد صور ذلك في شعره في سخرية لاذعة .

إذا استغلت أهلَ البطالةِ في الكـاسِ

أو اغتبقـوها بَـيْـنَ قـسٍ وشـمـاس

والسبب الرابع هو ما قلناه سابقاً من أن عنترة كان ينظر إلى الأصنام على أنها رمز لقبيلته بني عبس، وقد تكون هذه الأسباب نفسها هي التي منعت من انتشار النصرانية في شبه الجزيرة العربية، وهناك سبب آخر ذو أهمية وذو دلالة خاصة ألا وهو أن رجال الدين النصراني ودعاته ما فكروا في الدعوة لنشر النصرانية بين عرب شبه الجزيرة بل كان تواجدهم في شبه الجزيرة أساسه الفرار من الاضطهاد الذي لاحقهم في بلاد كثيرة وقس على ذلك حال اليهودية علاوة على انغلاقهم على أنفسهم .

لكن هل يعتبر عنترة من أصحاب اللذة المدمرة التي تجرف أصحابها إلى الانغماس في الشهوات وارتشافها حتى الثمالة حتى أن هذه اللذة تدفعه قهراً للبعد عن العبادة واتخاذها ـ أى اللذة ـ هى المعتقد الذي يدين به في حياته جرياً ورائها بلا أى حساب للقيم أو اعتداد بها وأصحاب هذه اللذة هم دائماً المفرطون في حق عبادتهم ودينهم من أجل شهواتهم ولذاتهم بل لا يلقون لعبادتهم وعقيدتهم ـ إن وجد لهم اعتقاد ديني ـ بالاً مطلقاً ويذهبون في التأقلم مع لذتهم إلى أن يصبح الدين والعبادة هما القيد الذي يكبل حريتهم خصوصاً وأن عنترة من

المقدسين للحرية كلف بهـا ـ عشقاً ولقد ورد في شـعره ما يؤيد ذلك حيث يقول:

ولا تـخـشوْا ممـا يـُقــدّر فـي غـد

فما جاءنا من عالمِ الغيبِ مخبر..؟!

إن الاعتمـاد على منطق الشعر بصـورته السطحية هو اعتـماد على سراب وخداع وخصوصاً إذا قيس مفهوم اللذة في شعره بما يدفعه من ذات النبع من روايات شـعرية فيـها ذكر الله والموت والحـساب وحب الواجب والبعد عن اللذة أيضاً وكـل هذا مما يخالف به أصحاب اللذة المتعلقين بها الذين تعميهم لذتهم عن ذلك،لكن برغم ذلك فاللذة عند عنترة مـا كانت أبداً تخرج به عن العـادي المألوف إن لم تكن أقل من العادي ومن المألوف،وهى في وجودها عنده لها منطق ومنزع ومشرب أما منطقهـا فهو الاعتدال بغيـر إفراط ولا تفريط وهكذا هو يوازن بين المتعة وحـريته في الاستمـتاع وأما منزعهـا فهو منزع الفطرة والطبـيعة البشرية التي تحتـاج للمتعة احتياجهـا للطعام والشراب ولا يعاب على أصحاب هذا اللون إن بحثوا عن المروي طالما شـعروا بظمأ إلى المتعة، ومشربهـا هو السلوك إليها مسلك الاحتـرام والتقدير، فهو يقدر فـيها حاجـته إليـها وعدم اسـتغنائه عنـها على أن من حقـه ألا يخل ذلك التقدير بهيبته واحتـرامه لنفسه واحترام الناس له، ومن هنا فلقد تعامل عنترة مع اللذة تعـامل العقلاء الأسويـاء الذين لا يجعلون لذتهم هى سجنهم الذي يأسـرهم ويستبدلهم في بيـئة لم يعرف فيـها حلال من حرام .

إذن لم يبق أمامـنا إلا أن ندخل عنترة في زمرة الحـنفاء،وهم أناس

تركوا عبادة الأصنام وتركوا اليهودية والنصرانية ﴿ **واتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾ وفي شعر عنترة الكثير ما يؤيد ذلك منها :

يا عبـل أينَ مـن المنيةِ مـهربي ... إن كان ربـي في السماءِ قضاها

قسـمـاً بالـذي أمـاتَ وأحـيـا ... وتـولـى الأرواحَ والأجـسـامـا

حرصتُ على طولِ البقاءِ وإنما ... مُبدي النفـوس أبـادَها ليعيـدها

وها قـد رحـلت عنهم وأمرنـا ... إلى من له في خلقه النهى والأمر

وبالرغم من أن هذه الشواهد تضع عنترة في زمـرة الحنفاء الموحدين أتباع نبي الله إبراهيم عليه السـلام إلا أننا نشك في ذلك حيث لم يرد عن عنترة أنـه انتمى للحنفاء ولـو كان منهم لما غفل لـه التاريخ ذلك ولصاحـبت ثورته على العـبودية ثورة على الأصنام والشـرك والرجل قادر على ذلك، على أننا مطمئنون جيـداً لما قلناه قبلا من أن تعصب عنترة لقبيلته وحبه لها قد منعه من أن يكفر بأصنامها علانية أو يتحدى بني عـبس في أعز ما تملـك، لكن ما نطمـئن له أكثر ونميـل إليه ولا نستـغربه في عقيـدة عنترة أنها عقـيدة الفطرة السليمـة والعقل الواعي والنفس الصافـية التي تعـترف أن لهذا الكون خـالقاً قائمـاً على أمره متصرفـاً فيه بيده الموت والحيـاة وتدفعه دفعاً إلى التسليم بالقـدر خيره وشره .

ولا عـاشَ إلا مَـنْ يُـصَـاحِـبُ فـتـيـةً

غـطا ريـفَ لا يعنيهم النحسَ والسعـد

* * *

الفصل الرابع

أخلاق عنترة

إن الحديث عن الأخلاق في العصر الجاهلي جد غريب عجيب، وليست الغرابة والعجب في رأى البعض ـ إلا من وجودها ـ أى الأخلاق ـ لدى هؤلاء البدو الذين يعيشون في الصحراء بما تحمل من قسوة وضنك وجوع وفقر يجعلها ترسم أهلها في صورة هاجنة قاسية لا أثر فيها لخلق أو مبدأ أو تجعل من يعايش هؤلاء البدو يجهل أثر الأخلاق في نفوسهم .

ولكن لنقل بداية إن من قال هذا الكلام بلا تمييز فقد ظلم العربي أو بالأحرى فقد ظلم البدوي ظلماً بيناً حينما جرده من الأخلاق بلا مبرر إلا مبرر البيئة التي عاش فيها وكأنه لا يبحث عن نفوس وعقول بل يبحث في أحجار الصحراء وضبانها عن وهم ينسبه إليهم .

والحديث عن أخلاق عنترة هو حديث عن رجولته لأننا لا نستطيع أن نفصل أخلاق عنترة عن معنى الرجولة عنده فهما متلازمان متوازيان في خط مستقيم لا اختلاف على الرجل بينهما وهو حينما تحركه الأخلاق لموقف ما فيحق لك أن تحكم فتقول إن المحرك له هنا هو رجولته وليس هذا بظلم للرجل ولا هو تغييب لأخلاق نفسه ومعاني سلوكه فللرجولة عنده معنى هو نفس معناها عند العربي

وكذلـك الأخلاق وكـلاهما رام من نابل، وسنرى أن هذا العـامل هو المفسـر لطبيعـة العربي في مجـمله أى ربط كثـير من صفـات العربي وأخلاقه بوصف الرجـوله وهذا لأن لهذه الصفة بالذات معنى يفـهمه العربي فهـماً خاصاً بل قل يقـدسه العربي الأصيل الذي أعطى البـيئة حقها حين تواجد فيهـا فلم ينس دوره فيها كذا هو لم ينس حق نفسه عليـه وواجبـه نحوها حـينما ارتقـى بها وبطمـوحاته في هذا العـالم الموحش المقـفر، بل جـعل هذا الارتقاء مـيزة وشرفـاً يعلو ويسـمو به ولسوف تظهر هذه الأخلاق في مواقف وأحداث عديدة وبصور متنوعة قد لا ينظر إليها البعض على أنها خلق وقـد يتحسبها البعض رداً على موقف بعينه لكن حينمـا نتحسبها جيداً نعلم أنهـا أخلاق ترتبط وتعبر عن عنترة الفارس العربي .

ومن هنا يعـــرف الخلق على أنه وازع نفـسي يـروع ويمنع المرء من ارتكاب أمور تجعل الإنسان مضطرباً مع مبـادئه ومبادئ وتقاليد وعرف قومه عـلاوة على الدين والعقيدة مـا تخالفها تلك الأمـور، ومعنى أن نقول وازع نفسي أنه ليس هناك أى سلطة تجـبر هذه النفس على اتباع ذلك الخلق، وهنا يتحقق مـبدأ القناعة النفسيـة تجاه هذا الخلق، وعنترة كان صورة تامـة وكاملة لهذه الحرية وتلـك القناعة في جميع مـواقفه التي رددها ورواها في شعره أو حكيت عنه ومنها .

أخلاق عنترة مع قبيلته ....

إن الحـديث عن قبـيلة عنترة بـني عبس حـديث عن عامل مـثيـر للإضطرابات النفسية لديه حـيث هو في نظرهم عبد أسود بالرغم من اعتراف أبيه به وبرغم سـمو نجمه وعلو هامته في سـاحة القتال إلا أن

كثيراً من أبناء بني عبس لم يعترفوا ولو في أنفسهم - وكذلك سلوكهم معه - له بالحرية، وبرغم هذا فقد قابل عنترة هذا الصلف بسماحة منشأها فكر واع حصيف ونفس هادئة فتحدث عن لونه الأسود في فخر واعتزاز فما دامت أفعاله بيضاء طاهرة فلا أسف ولا ندم على لون لا يدله فيه .

لئن أكُ أسوداً فالمسكُ لوني وما لسواد جلدي من دواء

ولكن تبعدُ الفحشاءُ عني كبعدِ الأرضِ عن جوِ السماء

لا يحمل الحقدَ من تعلو به الرتبُ

ولا ينالُ العلا من طبعُه الغضبُ

فعنترة هنا يتحلى بالخلق الاجتماعي الناضج والواعي الذي لا يجهل طبيعة النفوس التي يواجهها وأقدارها ولا تغضبه لأنه لن يلتفت إليها ولن يجاريها في سفاهتها ولك أن تربط هذا الخلق هنا بالصبر والثقة بالنفس لأن همه وهمته أعلى من أن يستنزل لتلك الصغائر .

لكن لو أتته هذه الهجمة من نفس متكبرة متغطرسة فعلاجها له موقف آخر، سنجد عنترة يفضحها في قوة وصلابة ولو كان المهاجم هو رأس قبيلته ذاته وهنا تلجأ هذه الأخلاق الناضجة الواعية إلى الفخر وإبراز النفس عالية حتى يتحطم خصمه فيلزمه قدره الذي يستحقه في نظره، بل إنه ليعلو بالفخر فيسخر منه أنه ليس أسود اللون مثله ثم هو يلجأ للعقل والحكمة بأن الفخر بالذات لا بأهل ولا مال ولا ولد .

دعْ ما مضى لك في الزمانِ الأول وعلى الحقيقةِ إنْ عزمتَ فعوِّلِ

إنْ كنتَ أنتَ قطعت بَراً مقْفراً وسلكته تحتَ الدُّجى في جَحفلِ
فأنا سريتُ مع الثريا مفْرَدا لا مؤنس لي غيرُ حدِ المنصلِ

* أخلاق عنترة مع الرجال :

أخلاق عنترة مع الرجال هى أخلاق البطولة والكرم والوفاء بالوعد، وغير ذلك كثير من الصفات لكن محكها هنا في هذه أبين وأظهر لأن البطولة هى عنوان الرجولة والكرم هو فخرها، والوفاء بالوعد هو ذروة ثنامها وهو الثقة بالنفس، فمن فقد البطولة فقد فقد عنوان الرجولة المميز لها، ومن لم يكرم مع استطاعته فلا فخر له، ومن حنس وعده فهو الذليل بين الناس .

فتى يخوضُ غمارَ الحربِ مبتسماً
وينثني وسنانُ الرمحِ مختضب
ما زلت أرمي صدورَ الخيلِ مندفقاً
بالطعنِ حتى يضجُ السرجُ واللبب
تجافيتُ عن طبعِ اللئامِ لأنني
أرى البخلَ يشْنا والمكارم تُطلَب
وأعلم أن الجودَ في الناسِ شيمة
تقومُ بها الأحرارُ والطبعُ يغلب
ولسمر القنا إلى انتسابُ
وجوادي إذا دعاني أُجِيبُ

يضحك السيفُ في يدي ويناديِ

ولــه فـي بنـانٍ غـيـرِيَ نحـيــب

فــدعـوني من شرب كأسٍ مدام

من جــوار لهُنَّ ظـرفٌ وطـيـب

ودعــوني أُجـر ذيــلَ فــخـار

عـندمـا تـخـجـل الجبانَ العيوبُ

وإنـي لأحـمي الجارَ من كلِ ذلـةٍ

وأفـرحُ بالـضـيـفِ المقـيمِ وأبهجُ

وعنترة مثله مثل أى رجل ينظر إلى الرجولة باحترام نظرة محب لها داع إلى خصالها غـيور عليها مطمئن بها لأنه يعـلم جيداً أن الرجولة أمن فيـأمن جانبها مـهما كـانت المواقف التي يدور فيهـا الصراع على الحيـاة وهو أشد أنواع الصـراع وأقواه والرجولة بأخـلاقها عـنده ثابتة رشيدة والتفاضل فيـها تفاضل بالنفس والمال لا كرهاً للنفس ولا زهداً في المال بل حباً للنفس وتعلقـاً بالحياة وعرفاناً بما للمال من قـيمة عند العقـلاء الراشدين،ولكن الرجولة أكـبر من هذين عنده فأخـلاقه هى أخلاق الفارس الشـجاع الذي يأمن غيره بقوته وثقتـه في نفسه ويأمنه غيره لصدقه ووفاءه، وأخـلاقه هى أخلاق المحارب العادل الذي يدفع قضية يـحتميها حـتى يظهر عدالتها،وأخلاقـه هى أخلاق القائد الماهر الشجاع يخـوض لهدفه من أقصى الطرق وأوضحهـا نعم أخلاقه هى أخلاق الصــدق والمباشرة طالما كان الـصدق والوضوح المباشـر العامل المشترك بين الرجال لأنه يبتغي منها راحة النفس وراحة الضمير .

* أخلاق عنترة مع المرأة :

أخلاق عنترة مع المرأة هى أخلاق النجدة وحب الجمال وليس رجلاً من لا ينجد المرأة وليس رجـلاً من لا يشعر بجمالـها، وقد يظن ظان أننا نتحدث ونتكلم عن متضادين متنافرين أو متفارقين مختلفين النجدة وحب الجمال أو قد يكون الظن أن بينهما بعداً ولا قرابة تحصرهما في شئ معاً .

وحقيـقة الأمر أن الرجل السوي دائماً مـا يدفع لنجدة المرأة في أى موقف بـدون أن يتبصـر أسبـابه هو لذلك أو أسبـاب ذلك الموقف لا لشئ إلا لكون المستغيث به امرأة ضعـيفة ولكن هذه المرأة الضعيفة هى في ذات الوقت أعلى رموز الجمال واكتمال الجمال فيها مرتبط بطهرها وعفتها ونقائها، فإن تلوث هذا الجـمال لم يعد جمالاً ولا يستحق من الرجل أن يدافع عنه،لذا قد يتردد الرجل قـبل أن يدافع عن المرأة غير الشريفة مرات ومرات لكنه أبداً لن يتردد في أن يدفع ويدافع عن المرأة الشريفـة ولو علم في هذا حتـفه وهلاكه ولهـذا كان العـربي الأصيل يأنف اغتـصاب المرأة لأنه يعلم أن ذلك مـزر بكرامتـه علاوة على أن ذلك يلبسهـا ثوب عار طوال حياتها ولربما كان هذا أيضـاً من أسباب وئد البنات عند العرب .

ما استمتُ أنثى نفسها في موطنٍ حـتى أوفـى مهـرَهـا مولاها

لكن بعد هذا لـنا أن نسأل: هل الأخلاق مـرتبطة بالمجتـمع رجاله ونساءه فإذا افتقد الرجل المجتمع ضل وضلت أخلاقه معه ؟

حقيقة الأخلاق أنها لا ترتبط إلا بذات صاحـبها لا بغيره مهما كان

هذا الغير ولكن تفسيرها على هذه الصورة له سبب أعمق من كونها صورة ترتبط بالمجتمع حيث هى هنا عند صاحبنا أخلاق حرة لا قيود عليها،وهى في ذات الوقت أخلاق جنس عام وليست أخلاق فرد يلتزم بها وكفى، وهو حينما يتمثلها ويرتضيها لنفسه يتمثل نتائجها قبل أن يتمثل منبعها ومنشأها في نفسه لأنه يعلم أنه ليس بحاجة إلى غيرها فيتمسح بها وهو لها كاره، بل هذا هو ميسمه الذي يطبعه في جميع أحواله ومواقفه بلا تكلف .

ومن هنا فحديثنا عنها هو حديث عن صور جامعة كعلامات في حياة فارس العرب نستقرئها لنعرج عليها في موقف آخر لأننا ندرس شخصيته بعيداً عن التعصب الذي يصاب به البعض حينما يتحدثون عن رموزهم وأبطالهم، ندرسها من منطلق عادل فإن كنا بعيدين عن أن نحكم عليها فما أجدرنا أن نستقرئ فيها ومنها هذه الصور ولا نتملقها أو نزور عليها ما ليس لها. وأخلاق عنترة هى ترجمة لشعره الذي وصلنا عنه، ولقد قلنا سابقاً إن أصدق ترجمة وصلتنا عن الرجل هو ديوان شعره الذي بين أيدينا لأنه الشعر ولأن الشعر هو أصدق ابداع يعبر عن صاحبه بلا تكلف ولذا فكأن اعتمادنا عليه اعتماداً كلياً نستشف منه تلك المعاني. لكن لنا بعد ذلك أن نحكم على أخلاق عنترة بأنها أخلاق رجل حكيم له من التجارب ما يجعلها متزنة هادئة وله من الحرية ما يجعلها صادقة ثابتة وله من القوة ما يجعلها حازمة واضحة وله أيضاً من اللين ما يجعلها سمحة طيبة.

* * *

الفصل الخامس

وصف عنترة

كيف نصف الرجل ؟

هل نصفه من جانب التكوين الجسدي أم نصفه من ناحية التكوين النفسي أم الأقرب لنا وصفه من الجانب العقلي أم نتجاوز ذلك كله إلى وصف الشعور والوجدان ونحن في هذا أحوج لأننا قبل أن نصف فارساً مقداماً نصف شاعراً مجيداً غير خامل الذكر، بل شاعراً له مكانته الشعرية التي تؤهله لقمة الشعر وبيانه ؟

نعم نحن في حاجة لهذا أو ذاك نحن في حاجة لجميع تلك الأوصاف وإن لم تكتمل فلن يتم لنا فيها شئ في البحث عن عنترة والحديث عنه.

وأى دارس لشخصية ما عليه أن يخوض بحار الوصف في كل هذه النواحي لأن الصورة لا تكتمل من جانب واحد بل من جميع جوانبها تكتمل لمن أراد الوصول إلى إماطة اللثام عنها وكشف أسرارها ودخائلها، وعنترة شخصية لها رنين خاص في أذن العربي ووجدانه والمساس بها ليس بالسهولة التي تجعلنا نتحدث عنه في غفلة عن واحد من تلك الأوصاف والتكوينات علاوة على أنها شخصية غير عادية في زمن وبيئة غير عاديين، أيضاً أن ننسى لا ننسى أنها حملت قضية الحرية

في زمن العبودية وبيـئتها بل وتداخلت مع هذه القضيـة قضايا أخرى ارتبطت بها سوف نعـرض لها في حينها ـ ولم يكن غيـر عنترة يجرؤ عليهـا، وإذا بدأنا الوصف في هذه التكوينات الأربع فـفي كل تكوين منها سمت خاص هو سمت عنترة ليس لغيـره فيه مشاركة أو اشتراك حتى ولو تشـابه معـه فهو تشـابه من أجل المخالفة والـتباين والعـجز والقصور لا تشـابه التوحد والموافقة، ونحن إذ نتـحدث عن عنترة هنا لن نقول عنترة الفارس أو عنترة الشـاعر أو العبد أو الحبيب ـ وإن كنا لن نغفل كل هذا ـ نحن نصف عنترة وعنترة فقط هذا لأن هذه الصور ما هى إلا صورة شخص واحد يحركهـا هدف واحد وعوامل مشتركة ويخيل إلى أن عنترة لو سعى لوصف ذاته لعجز أن يفصل ويصنف لنا ذات الشاعـر عن الفارس عن الحبـيب والعبد العنيـد. لكن لو تساءل سائل فـقال: وماذا علينا لو علـمنا أن عنترة كان طوال الجـسم ضخم البنيـان أو كـان قصـيراً نحـيفـاً هـل سيـفيدنـا ذلك بشئ عـن حيـاة الرجـل ؟!

وصاحب هذا الرأى لا يرفض الوصف وتكويـناته البدنية والنفسـية والعقلية بقدر ما يـبحث عن النتائج من وراء هذا المنهج الوصفي الذي يعتمد الوصف أداة في الكشف عن الشخصية التي يدرسها .

إن الوصف هنا سواء كان جسدياً أو عقلياً أو نفسياً ليس معناه بيان الشكل والهـيئة بقـدر ما هو مـفتاح يـفتح لك الطريق لأعـماق تلك الشخصيـة التي تدرسها، فالرسام الذي يرسم الصورة لا يقـتصر عمله على نقل الملامح والأشكال فقط وإلا فمـا الفرق بينه وبين آلة التصوير الصماء ؟ بل هو يغوص بنا في داخل الوجه الذي أمـامه ليستخرج لنا

من تلك الملامح صفات خاصة يراها بعين الفنان قد لا يعبر عنها صاحبها بمهارته على الإخفاء والتلوين لكن هذا الفنان رصد ذلك من خلال فكره ونظرته الخاصة لهذه الشخصية وليس لنا أن نلوم الفنان على ما قدمه لأن ما قدمه ليس فراغاً يتسلى به بقدر ما هو إبداع يبدعه ويستجليه، وكذلك الوصف الذي نتحدث عنه هو نوع من الإبداع الذي نعبر به - أو يعبر به غيرنا - عن عنترة ولكل أديب أو مبدع أداته الخاصة في الوصف سواء توحدت أو تنوعت المناهج التي يعتمدون عليها في هذا الوصف.

* وصف التكوين الجسدي لعنترة :

عنترة ... حينما تنطق هذه الكلمة تلقى في روعك وفكرك بمعناها مجسماً صورة عنترة فارس العرب، ولك أن تتخيله على أى شكل وقع في خلدك أو أى هيئة رماك بها الفكر في بادرة لحظته فلن تخطئه، ولغيرك أن يتخيله كما يشاء فلن يخطئه أيضاً، وأنت وغيرك لن تختلفا على حقيقة هذا البطل وجوهره من حيث التكوين الجسدي أو النفسي له مهما اختلفت الصور التي سيتخيلها كل منكم لكنها في النهاية ستتفق على صورة واحدة لا خلاف عليها هى صورة البطولة بما تحوى من قوة وشجاعة وإقدام لفارس عظيم، كذا النفوس ستتباين لتجتمع على نفس واحدة أبية تعشق الحرية ولا تعرف الخوف أو الوجل، وما بالنا نذهب بعيداً في هذا المضمار وهناك كثير من الفنانين يحاولون رسم صور العظماء والمبدعين الأقدمين من خلال قراءة إبداعهم مثل سقراط وأفلاطون والمتنبي والمعري وابن خلدون وغيرهم

فيحاولون تحديد ملامحهم الشخصية من خلال ما أبدعوه بأقلامهم فتلك الكلمات تعبر عن الشخصية بملامحها قبل أن تعبر عن فكرتها.

وما لا خلاف عليه في وصف صاحبنا هذا هو سواد لونه. نعم إن في هذا اللون الأسود قصة عنترة من بدايتها إلى نهايتها وهو محور مهم جداً يجب أن يعتمد عليه المبدعون في دراسة حياة عنترة وشعره، لكن إذا تحدثنا بجانب هذا عن ملامح عنترة وتقاطيع وجهه وسحنته فاعتقادي أنها كانت ملامح رجل عادي يألف الناس ويألفونه ولم تكن مطلقاً تميل للقبح أو للدمامة كما يصر على ذلك بعض الدارسين، ويظهر ذلك من اعتدال نفسيته حينما يتحدث عن لونه الأسود مفتخراً به في اشعاره، كذا لم نجد مطلقاً رواية تنص على السخرية من عنترة في هذا الجانب فأصحاب الوجوه القبيحة - وما ذاك بأيديهم - لم يسلموا غالباً من سخرية سفهاء الناس منهم، فما بالك وعنترة يجابه الناس في كل موقف لكنا لم نجد منهم من سخر منه في هذا، وقد يكون السواد بوجهه أبرز للجمال من البياض فيه، ومن هنا ففخر عنتر بسواد لونه ما كان أبداً إلا عن ثقة بأن ملامحه هى ملامح الرجال العاديين بل المألوفين بين أقرانهم، ويظهر هذا من مواقفه مع المرأة عموماً ويظهر بالأخص في مواقفه تجاه عبلة فلم يكن يجرؤ على الإشهار بها في شعره إن لم يكن على ثقة من اعتدال ملامحه وألفتها، وكان عنترة بجانب ذلك غزير الشعر طويله يدل على ذلك قوله :

عجبت عبيلةُ من فتى متبذِّلٍ ... عارى الأشاجعِ شاحبٍ كالمنصلِ

شعثِ المفـارِقِ مُنْهجٍ سرباله   لم يَدَّهـن حـولاً ولـم يتـرَجَّـلِ

وإذا كانت المصادر قد قصرت في وصف صفات عنترة الجسدية وغيرها ارتكازاً وارتكاناً على شهرته فـهذا لن يحول بيننا وبين التعرف عليها سواء كان ذلك مما ورد في شعره وورد صراحة أو مما نستنطق به المعنى من شعره .

لما رأيتُ القـومَ أقبلَ جمعُهم   يتـذامـرون كـررتُ غـيـرَ مذمـمِ

يخبركِ من شهدَ الوقيعةَ أنني   أغشى الوغـى وأعـفُّ عندَ المـغنمِ

لئن ألكُ أسوداً فالمسكُ لونـي   ومـا لسـواد جـلـدي مـن دواء

لـئـن يـعيبـوا سوادي فهـو لـي نـسبٌ

يـومَ الـنـزالِ إذا مـا فـاتـنـي النـسـبُ

حـجـنـاهـم بالخنـوخـيـلا مغـيـرة

فما برحت تحوي الأسارى وتسلب

إن ذر قـرنُ الشمـسِ حتى تغيبت

وأقبل ليس يقبـض الطـرفَ غيهبُ

والخيلُ تشهدُ لي أني اكفكفها   والطعنُ مثل شرارِ النارِ يلتهب

وردت الحربَ والأبطالُ حولي   تهـز اكـفها السمـر الصـعـادا

ما زلت ألقى صدورَ الخيلِ مندفقاً

بالطعنِ حتى يضج السرجُ واللبب

إن صورة عنترة التي لا خلاف عليها أنه بطل مقدام مخيف مهيب له في الحروب والمعارك صولات يجيد الكر والفر والإقبال والإدبار معاً في مهارة وسرعة برق خاطف منحدراً كالسيل الأسود بسيف ورمح مترس ومدرع غير هياب ولا وجل يصرع أبطالاً وصناديداً في قوة بعد رعب مُعلَّم بمقدمه ولا خلاف ان كان ذلك كذلك أن يكون لهذا البطل صورة خاصة به وبنية فريدة معهودة له لا تخطئها الناس في أشد المواقف وأصعبها على النفس كرباً وبؤساً فإذا نزل أرض المعركة احتمَّ واحتمى به رجال وانهار واغتم منه أخرون ولن تكون هذه الصورة إلا صورة رجل ضخم الجثة ضخامة غير معهودة لغيره، هذا والأبيات التي تتحدث عن المعارك والبطولة لابد وأن تعطيك في تحليلها السليم شيئاً من هذا بلا مواربة وإن كان وصفه لم يأتينا عن رواية راءٍ له رؤية عيان إلا أن شهرته وخلود سيرته قد كفلت ذلك لنا واقرأ معي هذه الأبيات :

ولسمر القنا إليَّ انتسابُ وجوادي إذا دعاني أجيب

يضحكُ السيفُ في يدي ينادي وله في بنان غيري نحيب

السيف في يده والسيف في بنان غيره !!

فكأن عنترة يظهر لنا ضخامة كفة وضخامة الكف دليل ضخامة

الجسد ـ حيث يقبض على السيف قبضة إحكام ومهارة عكس غيره الذي يعجز لصغر يده من القبض على السيف، فكأنما أيديهم بالنسبة ليد عنترة بنن .

ومن هنا فخلاصة كل هذا أن عنترة رجل أسود اللون ضخم البنيان بصورة ملفتة للنظر وغير معهودة في غيره مع رشاقة واعتدال في القوام يدفعه للنشاط الزائد وملامح وجهه طبيعية فلا هى مفرطة الجمال ولا هى مفرطة القبح بحيث تجعل أصحابها يقبعون داخل أنفسهم خجلاً أن يسخر منهم الناس، وهذا الوصف قد يلزمه مظاهر جسدية أخرى من حدة البصر ورهافة السمع تعينه على اكتمال هذا البنيان في حركته.

*** وصف التكوين النفسي لعنترة :**

يسعى كثير من الكتاب والمؤرخين على وصف عنترة بأنه رجل صاحب عقد نفسية قد تملكت منه حتى قيدت شخصيته وحددتها في إطارها هذا فلا نستطيع تفسيرها إلا من خلال هذه العقد. فالأستاذ حسن القرشي في كتابه «فارس بني عبس» يقول ولم تخل نشأة عنترة من العقد النفسية، والأستاذ مارون عبود في كتابه «أدب العرب» يرى أن الكبت ومركب النقص كانا عاملين من العوامل التي أثرت في شخصية عنترة وأججت طموحه إلى المجد وقول الشعر.

والحقيقة أن الأستاذين لم يبينا حقيقة تلك العقد النفسية ومركب النقص هذا والكبت، وعلى أى أساس بنيا رأيهما، وما هو المنهج الذي طبقه كل منهما حتى وصلا إلى تلك النتائج التي رميا بها عنترة ؟!

وهل معنى ذلك أن نحكم على كل ذوي الوجوه السوداء بأنهم أصحاب عقد نفسية وكبت ومركبات النون قاف صاد ؟!

وهل العبودية والرق اللذان يخلفان الكبت والنقص يصنعان شاعراً فذاً وبطلاً مقداماً ؟

إننا إن جزمنا بذلك نكون قد ظلمنا أنفسنا وأقلامنا وأسأنا إلى القارئ إساءة بالغة، إننا إن فعلنا ذلك نكون قد ألغينا دور الموهبة في حياة المبدعين.

لا لن نوافق كل من ادعى على عنترة هذا، بل لن نؤمن بذلك بأن تخلق العبقرية من عقد النقص في حياة البشر مهما خاطبنا بذلك علماء النفس وقالوا. . ، هذا لأن النقص يهدم فلا يبني والكبت حرمان مستحيل أن يكرم، والشخص صاحب العقد النفسية يعجز عن أن يأتي بالجمال والإبداع لهذا نرفض هذه التغيرات التي هى تخالف الحقيقة والتي هى ضد الحق وتبعدنا عن الواقع، إن مركبات النقص والكبت والعقد النفسية مستحيل أن تخلق بطلاً شجاعاً مثل عنترة يتحلى بهذه الصفات والمثل والمبادئ التي لا توجد إلا في النذر اليسير من البشر وإن هذه المركبات والعقد مستحيل أن تخلق لنا شاعراً بهذه الفحولة وهذا الإبداع.

والحقيقة التي نؤمن بها أن نفس عنترة سوية في غاية الإستواء وفيها من صفات الخير والجمال الكثير غير أن الظروف التي وجدت فيها كانت ظروف غير عادية وغير طبيعية جافة ومؤلمة ولهذا لم تطق نفس عنترة هاذي الظروف فعلمت على التحرر منها بكل قوة خصوصاً وإنها قد امتلكت شجاعة جبارة وعزيمة قوية وفصاحة بالغة فتوظفت فيها

كل تلك العوامل للإنطلاق ضد هذه الظروف فحطمتها. نعم حطمتها في انتقام لأنها رأت فيها ظلماً باغياً وعدواناً مدمراً ولكن حينما حصل عنترة على مبتغاة لم يتجاوز ذلك إلى الانتقام المدمر ضد قبيلته التي أساءت إليه ودليل آخر أن عنترة صابر وجاهد وناضل ضد عبوديته من خلال موقعه يواجه في قوة وجهاً لوجه ولم يفعل مثلما فعل صالعيك العرب من الخروج على قبائلهم والإنتقام منها في كل فرصة تسنح لهم ونريد أن نقول أيضاً أن هذه النفس السوية قد امتزجت عقلاً غاية في الذكاء فترتب على ذلك سلوك واع حصيف جردها من الرعونة والحمق. ولكن هل نحدث الشعر عن وصف نفس عنترة أم يحدثنا الشعر عن نفسه ؟

لو كان هذا الوصف للعقل لسهل علينا الوصف من جانب المعاني والصور والأخيلة، أما النفس فعزيز على النفس أن تستخبر عنها أحاديث الشعر في سهولة بل ربما كان الشعر في واد ونفس الشاعر في واد آخر لكن ما باليد حيلة فليس معنا من الرجل إلا ديوانه الشعرى ولكننا قلنا سابقاً: لقد عاش عنترة في عصر الفوضى والاضطراب ولم يكن فوضوياً ولا مضطرباً بل ناقضت صفاته وأخلاقه معناها، وعاش في عصر الجهل ولم يكن جهولاً،وعاش في عصر الكبر والسيطرة والإنحطاط وامتلك وسائل هذا كله لكنه أبى هذه التفاهات،هذا ما قلناه سابقاً وها نحن نردده مرة ومرات لأن انسلاخ عنترة عن هذه التفاهات والنقائص ليس له دافع غير نفس قوية رشيدة تمتلك زمام أمورها وعلى قناعة تامة بما تقدم عليه بمهارة غير عادية .

ونفس عنترة بعد ذلك نفس طامحة يحركها طموح غير عادي

وإقـدام مميت وليس وراء ذلك الطمع بل وراءه إدراك فطري لحـقـيقـة الوجود وإيمان عميق بمقدرات كتبت عليها ليس منها مفر .

وعـرفـت أن منيـتي أن تأتـني لا يُنجِى منها الفـرارُ الأسـرع
مـا زلـت مرتـقـياً إلى العليـاءِ حتى بلغتُ إلى ذري الجـوزاء
فهناك لا ألوي على منْ لا منى خـوفَ المماتِ وفرقـةَ الأحياء
فلئن بقـيتُ لأصنعنَّ عـجائباً ولأبكـمـن فصــاحـةَ البلغـاء

وهى نفس قد هذبتـها العبوديـة تهذيب صبر وحـببت إليها جـمال الحرية بل كل جمال في الوجود فأصبحت سمحة غير حاقدة ولا ناقمة قوية ذات صـبر وأناة،وليست العبـودية هى عامل التهـذيب الأساسي كمـا سيظن البـعض في حمل ظاهر كـلامنا ولكن نفس عنتـرة تحمل صفـاتهـا هذه من الميلاد ولكن ظلم العـبودية وغـشاوتهـا لم تجـرفه للإنحراف بل ثبتته على رفض الإنحراف.

لا يـحملُ الحـقـدَ من تعلـو بـه الـرتـب
ولا يـنـال العـلا مـن طبـعـه الغـضـب

مـا ساءني لونـي واسمُ زبيبة إذا قصرت عن همتي أعدائي
حـاربيـني يا نائبـاتِ اللـيالي عن يمـيني وتـارةً عن شمالي
واجهدى فـ عداوتي وعنادي أنـتِ واللهِ لـم تُلـمـي ببـالي
فلأغضبن حواسدي وعواذلي ولأصبرن على قلى وجـواء

وهذه النفس التي تمرست الصـبر وقد تـأقلمت على تقلبات الحـياة بهدوء وثقـة مناطها قناعتهـا بأن قسم الحيـاة كلها لم ولن تقع في يد

واحـدة فـمن رضى بما وقع ليـده فـهـو المـسـتـريح بنعـمـة الرضـا والاطمئـنـان.

أعـادي صرفَ دهرٍ لا يـعادي واحتـمـلُ القطـيـعـةَ والبـعـادا
أقاتـلُ أشواقـي بصبري تجلدا وقـلـبـي فـي قـيـدِ الغـرامِ مقيد
سأندبُ حـتى يعلمَ الطيرُ أنني حزين ويرثى لحالي الحمامُ المفرد

ولذا فلقد تجمعت أخـيراً كل هذه الصفات لتقدم لنا نفسـاً شجاعة أبية خـبرت الحياة بدروبهـا وخبرت الموت والفناء فـعالجت الخلود من منظار الصراع الـدائم الذي لن ينتهي إلا بأحدهمـا وهو على يقين بأن النهاية حتم وبأنه هو المهزوم أمام الطبيعة ليس في ذلك شك ومن هنا تقدم ليقـدم نفسه في قوة وثبات كـهزيمة المنتصر الذي شـبع من الحياة وملها فهو عالي النفس مبتسم لأنه كتب سيناريو النهاية ببنان قلمه وبه قد حفر في صخر الدهر قصة خلوده.

إن ملاك الأمـر في وصف نفس عنترة أنهـا نفس سهلة لينة وغـير معـقدة تتفـاعل مع الواقع بكل حرية وبلا خجل لأن سـمتهـا سمت طبيعي غير ذي تكلف.

لـغـيـر العـلا مني الـقـلا والـتـجـنـب
ولولا العلا ما كنتُ في الـعـيـشِ أرغب
وقد طلبتُ من العلياءِ منزلـةً بـصارمي لا بأمـي ولا بأبي
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم

* وصف التكوين العقلي لعنترة :

هل نقول أن عنترة صاحب تكوين عقلي أو طبيعة عقلية تحليلية أم نقول أنه صاحب عقلية تركيبية أم أن هذا الرجل يمتلك، عقلاً خيالياً صاحب تصورات خيالية أو صاحب نتائج تسبق مقدماته وأسبابه أم أن طبيعة عقله إدراكية بحتة يهضم كل ما يقدم إليه في نشاط غير عادي؟

والعقول في هذا وغيره كثيرة متنوعة وليس عقل يستحوذ على وصف من هذه الأوصاف إلا وقد ألمَّ بجانب منها جميعاً وكلا المجالين اللذين برز فيهما عنترة يقدمان على العقل الموقف والحدث والشعور يتحرك قبل أن يقدم العقل، فالشعر في حقيقته إلهام شبيه بالإيحاء، أو قل إيحاء أقرب للإلهام والحرب تصطرع المواقف فيها فتقدم النفس وتؤخر تبعاً لهذه المواقف ومدى قوة النفس وشجاعتها ولو جاء العقل في تلك المواقف فلربما آثر التراجع حتى لا يلقى بالنفس إلى التهلكة.

إذن فأين دور العقل في هذه الشخصية ؟ أين عقل عنترة الشاعر، وأين عقل عنترة الفارس ؟

بداية . . ليس لنا أن نقول عنترة الشاعر وعنترة الفارس بل نقول عنترة وعنترة فقط أما إذا أحببنا أن نقارن قوة العقل وقدرته في شخص ما ينبغي أن نقارنها بقوة أعمق لها السيطرة والتحكم في ذات الشخص وأول هذه القوى هى قوة العقيدة.

نعم فقوة العقل تقاس بقوة فهمه للعقيدة والتعامل معها على أساس متطلبات الفطرة الطبيعية للإنسان لا التسليم الأعمى لها بلا فهم على

حساب العقل ذاته وعلى حساب النفس التي تتحمل ذلك العقل ويتحملها .

وأعتقد أن عنترة من هذا الجانب يمتاز بطبيعة عقلية متحررة حصيفة مرنة لا تخدعها مزاعم باطلة أمام تحليلات عقله ومنطقه وما أكثر هذه المواقف في شعره وقد تحدثنا قبلاً عن سخريته بالأصنام حينما جعلها تسجد لعبلة وترقص فرحاً بمقدمها.

سجدت تعظم ربها فتمايلت — لجلالها أربابنا العظماء

أيضاً أنظر إليه حين يتحدث عن سمية زوج أبيه في موقف الافتراء والكذب.

تجللتني إذ هوى بالعصى قبلي — كأنها صنم يعتاد معكوف

قلنا : فأصدق ما يقال عن علاقة عنترة بهذه الأصنام أنها علاقة تسليم بوجودها التسليم الغير ملزم بعبادتها وتقديسها.

وقلنا : عنترة رجل ذو عقل واع مدرك وصاحب ثقافة عالية واستقلالية تامة تؤهله لاختيار عبادة ترضيه وليس هذا بدعاً في عصره وبيئته.

وإذا أحببنا أن نقيس قوة العقل وقدرته لشخص علينا أن نلجأ إلى منطقه وصدقه فيه ومبادرته على البديهية والجواب حين يسأل في أمر يخصه أو يخص مجده ومكانته، والجواب على البداية يحمل العفوية وصدق الاطمئنان إلى الثقة بالنفس التي هى وليدة عقل واع لا تدفعه الأهواء ولا يدفعه الحسد أو حب التملك والظفر والظهور لاستبدال نفسه بغيره أو غيره بنفسه في مواقف يعز عليه فيها أن لا يكون هو

كما أحب وكما عرف عنه. لكنها حقيـقة الثقة!! نعم الثقة التي تدفعه إلى أكثر من ذلك، والـثقة التي تجعل حكمه حـكم إدراك واع بصير لا حكم مخدوع غر يطرب لكلام محدثيه وسائليه.

انظر إليه حين سئل أأنـت أشجع الناس ؟ قال مجيـباً في ثقة. لا. قيل: فـبمـاذا شاع لك هذا في الناس ؟ قـال - رجل في هول الموقف يدرك طبيعـة الموقف - كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عـزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً لا أرى لى منه مخرجاً وكنت أعتمد الضعـيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطيـر لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله... عقل يخبر قدره وقدر الموقف الذي هو فيه وقدر النفوس التـي يتعامل مـعها مـن يقدم ومن يؤخر. مـتى يتقـدم ومتى يتأخر، وهنا يصدق عقل عنترة حين يكون هذا مقياسه في الحكم على المواقف بأقدارها.

وإذا أردنا أن نزن هذا العـقل علـينا أن نزنه من منطلق آخـر غـيـر منطلق العقيدة حين تقارن قوته وقدرته في مجابهة قدرة أقوى وأعمق، وغيـر منطلق المنطق وجواب البديهـة حين تجتاحه عـواصف العواطف وأهوائها الجامحة فتشل قـدرته على التفكير والإدراك وتجبر عقله على الخـضوع والانصـياع، هل هو عـقل موزون واع قـادر على التمـاسك والمجـالدة في مواقـف الصراع أم هو عـقل سـاذج تلاعـبه النفـوس والعقول الأخرى في سخـرية واستهزاء بلا أدنى مراعاة لقيمـته حينما يقع بين أضراسها فتطحنها بأهوائها ؟

ولسنا نشك في أن العاطفة عند عنترة قوية جياشة مثلها مثل عاطفة أى شاعر يشعر بالجمال ويقدره ويريد الوصول إليه وقطف ثماره سواء

أكان هذا الجمال هو جمال الحرية أم جمال المرأة أو أى جمال آخر وبديوانه قصائد تغذي هذا المعنى في منطق سهل لين وعاطفة ملتهبة وأمل طامح وفكر متحرر كموجة بحر ناعمة هزها النسيم برفق.

أعادي صرفَ دهرٍ لا يعادي ... واحتملُ القطيعةَ والبعادا
وأظهرُ نصحَ قومٍ ضيعوني ... وإن خانتْ قلوبُهمُ الودادا
أعلل بالمنى قلباً عليلاً ... وبالصبرِ الجميلِ وإن تمادى
تعيرني العدا بسوادِ لوني ... وبيضٌ خصالي تمحو السوادا
سلي يا عبل قومَكِ عن فعالي ... ومنْ حضرَ الوقيعة والطرادا
وردتُ الحربَ والأبطالُ حولي ... تهز أكفها السمر الصعادا
وعدت مخضباً بدمِ الأعادي ... وكرب الركض قد خضب الجوادا
وكم خلفت من بكرٍ رداحٍ ... بصوت نواحها تُشجي الفؤادا
وسيفي مرهفُ الحدين ماضٍ ... تقد شفارُهُ الصخرَ الجمادا
ورمحي ما طعنتُ به طعيناً ... فعاد بعينه نظرَ الرشادا
ولولا صارمي وسنان رمحي ... لما رفعتْ بنو عبسٍ عمادا

فالرجل هنا في هذه القصيدة هو محب لكنه لا ينسى مطلبه الأساسي وهو الحرية ويهوى حبيبته لكنه يقدم لها نفسه وقيمته هو لاستحقاقها ويرجوا الوصال والتداني لكن الخلود والمجد هى منطلقه للكرامة بين الرجال، فهنا طمحت النفس في كل مجال واشرئبت العاطفة بكل رأسى لكن ميزان العقل حكمها وأحكمها في هدوء ولين حتماً أنك تظن أن هذا الرجل عدة رجال وهذا العقل عدة عقول وهذه النفس عدة نفوس.

والشـعر أخيـراً هو ما تـبقى لنا من عنتـرة وهو صورته المرئيـة لنا ومعـرفة طبيـعة عقله تسـتمد منه ولذا يـنبغي أن يخضع هذا الشـعر للتحليل اللغـوي الدقيق والتحليل الأدبي المتكامل حـتى نصل لغرضنا منه وهذا عمل مـا توخيناه في بحثنا هذا عن عنـترة لكن لنكشف عن هذه العقلية من خـلال موقف موته وشعره في هذا وصراعـه الحقيقي وهو موقف جد مهم. فالرجل قد طعن غدراً في موقف خيانة من وراء ظهره وليس مواجهة بل هرب طاعنه بعد ما أعلمه بنفسه لأنه تيقن من موته ورجع عنترة مـجروحاً إلى قومه يحمل على ظهـره صراعاً مريراً وطموحاً عالياً ومـجداً صعبا مناله قد تحقق له بعدمـا حفر في الصخر دهراً وينظر أمامه فإذا الموت شاخص له بعينين ضاحكتين فيهما شماتة فقد أعياه دهراً وها هو قد سقط أخيراً ليرتمي في أحضانه ولكن عنترة ينظر إليه في تحد وإصرار فيقول:

وإن ابـن سلمـى فاعـلمـوا عنده دمي

وهيهات لا يرجى ابنُ سلمى ولا دمي

يحلُّ بأكنـافِ الشعابِ وينتمي مكـانَ الـثـريا ليس بالمتهضم

رماني ولم يدهشْ بأزرقَ لهذمٍ عشيةَ حلوا بين نعفٍ ومخرم

لقد كان عنترة في هذه الأبيات...

صاحب عقل تحليلي واع بقدمات يرتئيها لنفسه ومجد هو موت بلا ثمن موت فيه عار وعيب على مثله أن يخوضه ولهذا فلابد أن يستمر الصراع نعم رماه جبان لكـن لن يفلت بجبنه وليس هروبه سبب نجاته بل ليـحـمل العـار والذل أو تأخـذ عـبس العـار حين تفـرط في دم

عنترة، وعنترة في شعره كله يحمل تلك العقلية التحليلية فحينما يدافع عن حريته يستثير عـقولنا دوماً بأني إنسان ولدت حراً وسواد لوني لم تصنعه يدي ولو كانت الحرية تعطي على قـدر طموح الناس ومجدهم لكنت أول من يحوزها وهو حـينما يفخـر بلونه يعطينا أسباباً منطقـية لفخره فـهذا اللون هو الذي قيده في رق العبودية وأكـبالها وهو الذي دفعه للثورة عليها ـ كذلك حينما يطالب بعبلة فهى ابنة عمه فهو أولى بها ولو تفاضل فيها الرجال بمجدهم وشجاعتهم وبذلهم فعنترة أسبقهم في هذا .

وعنترة أخيراً صاحب عقل تحليلي وظفه جيداً في الدفاع عن حريته والمطالبة بحقوقه .

* وصف التكوين الوجداني عند عنترة :

إذا وصـفنا شـعور عنـترة ووجـدانه من منطلق المـعارك والحـروب والدمار وهو جـانب بارز في حياة عنترة وشـخصيته مـا وسعنا إلا أن نقول: إن الرجل مقدام غير هيـاب ولا وجل ولو قال قائل فيه إن فيه بلادة نزعت منه الرحـمة والحنان معـتمـداً في ذلك على مواقـفه في المعارك لقلنا وإنا لنرى فيه عكس ذلك وما بالنا ننسى أو نتناسى طبيعة ذلك المجتـمع في عصر الجاهلـية وما بالنا نتغـافل عن قانون الطبيـعة الأبدي البـقاء للأقـوى ثم لماذا نحكم من هذا الجانب ولدينا جـوانب عدة منها جـانب المحب العاشق وها نحن نجد فيه هيامـاً وحناناً طاغياً وكأن العاشق هنا غـير الفارس هناك وحديث ثالث شعـور ذلك العبد ماذا نرى فـيه؟ إنه يعطينا صـورة الإنسان المكافح من أجـل الحرية في ثورة عارمة وصبر جليل ووراء كل ذلك شعور بالظلم والعدوان ولكنه

ينقلب إلى نوع من التحـدي والنفور قد نلمس فيه جـانباً أو قدراً من السخرية التي قـد تميل إلى المهانة والموادعة لكنها ما تلبس أن يعـتليها شعور بقيمة النفس فتثور بلا مجاملة ولا حدود.

لكن أياً من هذه الجوانب لا تعنينا لأننا لا نصف شعوراً مجزءاً من عنترة .

إن شعور عـنترة شعور الحكيم حـينما يعي معنى وجودة فـي الحياة ومعنى أن يحيا فيها فأحب أن يقتسمـها حقه وحقها كاملاً بلا نقصان بما يمتلك من ثقة وخبرة فكان هادئاً وكـان ثائراً وكان قوياً صلباً وعاين الضعف ولان ليـونه القوي حين يكون اللين مطلبـاً عزيزاً على غـيره والضعف فيه لمواقف يفخر المرء بينه وبين نفـسه فيها أنه فعل ما يجب أن يفعله كل قوي وأن الضعف في هذا الموقف هو القوة التي يجب أن يحتـمي بها غيره فـهذا عنترة يحجم عن مـلاقاة فارس يدعوه للـقتال وقبل أن نفسر هذا الإحجام على أنه خـوف أو جبن ينبغي أن نستشعر شعور عنترة بالمسئولية تجاه عبس بما تحمل هذه المسئولية من معنى يعرفه هو قبل أن يحـاول غيره أن يتفـهمه وهذا لأن شعـوره شعور معـتدل متكامل لنفس سوية تتوازن حركـتها في عقل واع وإدراك سليم لنفس مستقـيمة في بنية تؤهل كل ذلك للاعتـدال المنصف وذلك هو مجمل وصف عنترة كله .

* * *

الفصل السادس

عبودية عنترة وحريته

في بداية حديثنا هنا لابد أن نتساءل: هل حقاً حصل عنترة على حريته أم لم يحصل عليها ؟

والدافع وراء هذا السؤال هو عدم اطمئنان البعض لذلك الحديث عن حريته، علاوة على أن طبيعة العرب في ذلك الحين ما كانت تسمح للعبيد بالحرية والعتق والتفلت من الرق مهما كانت الظروف والأسباب، كذلك يوجد من يقول إن شخصية عنترة التي بديوانه قد تجسدت عبر مراحل زمنية متعددة وليس هو صانعها الوحيد فلقد صنع منها جزءاً ووضعت عليه أجزاء وهذا ثالث يقول بأن عنترة قد وجد حقيقة وطالب بحريته بشراسة لكنه لم ينالها فلقد وئد سريعاً بيد سادة عبس ولم يكن بطلاً فارساً يخوض غمار المعامع بل لقد اصتنع العبيد قصته كرمز لهم.

والكلام هذا برغم ما يحمل من قناعة لأصحابه إلا أن لعدم القناعة فيه جانب آخر وهو كلام ظريف على إنه لعقول فكرت ورأت ما قنعت به لكننا على قناعة تامة بوجود عنترة كحقيقة تاريخية حملت جميع قضاياها وليست هى أسطورة خيالية أو صورة رمزية اصتنعت لغرض ما ولقناعتنا هذه أسباب أولها. قول الرسول ﷺ في عنترة : ما

ما وصف لى أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة. والثاني إن وجود ديوان عنترة بملامحه هذه ليس من طبيعة العرب في خلق شخصية واختلاقها من عدم بهذه السمات والمواقف بل ليس من مقدرتهم إلا أن تكون قد وجدت فعلاً هذه الشخصية بمواقفها وملامحها والثالث إن كل عمل له دافع فما الدافع وراء خلق العرب لشخصية عنترة أو ما الدافع خصوصاً عند بني عبس ؟

كذلك من يقول بوجود عنترة ومطالبته بحريته ووئده سريعاً على أيدي بني عبس وسادتها لأنه أراد تحرير العبيد وأن العبيد اصتنعوا قصته كرمز لهم وإذا كان لهذا الرأى شيئاً من الصواب في مقتل عنترة سنعرض له حين نتحدث عن موته إلا أن التاريخ لم يذكر شيئاً عن تحرير العبيد وما كان العرب ليسمحوا لعبيدهم بهذا التفلت كذلك أن العبيد في مجتمع العرب ما كانت تجمعهم وحدة ليحركوها في شبه ثورة أو انقلاب برمز يصنعوه، بل من الناس من يعيب على عنترة أنه نادى بحريته فقط ولم تكن دعوته لحرية وتحرير العبيد كلهم . . . !!

وإذا جاز لنا أن ندافع عن عنترة وندفع عنه نقول: لقد تفرد عنترة بظروف خاصة أهلته للمطالبة بحريته أولها أنه كان ينظر إلى نفسه على أنه ليس عبداً بل سيداً من سادات عبس يبحث عن حقه ولذلك نادى أن تكون السيادة والعلا والفخر بالأفعال والأخلاق لا بالألوان بل زاد على ذلك ففخر بسواد لونه .

لئن أك أسوداً فالمسك لوني — وما لسواد جلدي من دواء

ولكن تبعد الفحشاء عني — كبعد الأرض عن جو السماء

كذلك طبيعة العبيد في ذلك الحين ما كانت تسمح بتجمعهم واتحادهم بل إن البادي أن العبيد كانوا يتعصبون لأسيادهم وأيضاً مصادر العبيد في ذاك الوقت كانت من الحروب والسبي والعبد في كنف سيده كان يجد الأمن والأمان من مأكل ومأوى في تلك البيداء القاحلة التي تتحطم عليها روح الثورة لو فكر العبيد فيها، غير أن دعوة عنترة في جوهرها لم تخل من تعميم الحرية لكل الناس فلقد نادى بالمساواة بين البشر وأن التفاضل إنما يجب أن يكون بالأعمال والأخلاق لا باللون والحسب والجدود .

فأما القائلون هزبرَ قومٍ   فذاكَ الفخرُ لا شرفَ الجدود

أما القائل بأن شخصية عنترة في ديوانه قد تجسدت عبر مراحل زمنية عديدة بأيد متنوعة فنقول له: قد تصدق في شئ لكن قد غابت عنك أشياء منها أن من يضع على عنترة شعراً يأخذ منه ليضع عليه أى يحاول تقليده ولن يأت بما يخالف صورته وأن حقيقة الموجود من شعره الصحيح النسب له يجسد أيضاً تلك الصورة التي عرفت له فلا خلاف بينهما كمن يرسم لوحة ويأتي آخر ليقلدها فهل نصف الأصل بالنقص والعيب لمجرد أن قلدها الآخرون ؟! إن عنترة شخصية حقيقية قد عاشت في بني عبس وعايشت واقعها وعاشت الأحداث بكل تفاصيلها التي وصلتنا عبر ديوانه خصوصاً وإنها لم تحمل شيئاً من المبالغة الغير متعارف عليها، بل هى شخصية ليس فيها تزيد يحملنا على تكذيبها واتهامها بمخالفة الحقيقة، وليس لنا أن نحكم عليها بمقاييس عصرنا نحن فقد عاشت عصراً غير عصرنا وواقعاً يخالف واقعنا .

ومن هنا نعود إلى سؤالنا الذي بدأنا به حديثنا هذا هل حصل عنترة على حريتـه ؟ إن حديث عنترة عن حـريته قد مـر بمراحل عديدة بين يأس وأمل وصراع وفخر وحب حتى جاء حديثاً متنوعاً عن الحرية من البدء حتى النهاية ولذا جاء حديثاً تاماً وافياً .

ولأجهدن على اللقاءِ لكي أَرى　　　مـا أرتجيـه أو يـحيـن قضائي
مـا ساءني لوني واسمُ زبيبة　　　إذا قَصَّرت عن همتي أعدائي
قـد كنـت فيما مضـى أرعـى جِمالَـهم
واليوم أحـمي حماهـم كلمـا نـكبـوا

ولـي بيـتٌ عـلا فلكَ الـثريا　　　تـخرُ لعـظم هـيبته البيوت
حلمتُ فما عرفتم حـق حلمي　　　ولا ذكـرتْ عشيرتُكُم وادي
ولـولا سـيـدٌ فـينـا مـطـاعٌ　　　عـظيمُ القـدرِ مرتفعُ العـماد
أقـمـت الحـقَ بالهنـدى رغما　　　وأظهرتُ الضلالَ من الرشاد
يعـيـبون لـونـي بالـسـوادِ وإنمـا　　　فعالُهم بالخبثِ أسودَ من جلدي

لكن يجب أن ننبه إلى أن حرية عنترة كانت مرتبطة بمطلب آخر لا يقل عنها أهمـية ألا وهو اعـتراف أبيه به. فلقـد كان يقلقـه أن يكون حراً بلا نسب في مجـتمع يحرص كل الحـرص على النسب والفخـار به وإلا فإن حرية بلا نسب هى عبودية جديدة ميسمها الذل والعار .

ومن هنا لا يسعـنا إلا أن نقول لقد انتـزع عنترة حريـته بسيـفه أولاً ثم باعتراف أبيه ثانياً ونزعها من قـومه أخيراً وإن كان بعض رجالات قومه لم يعـترف له بذلك إلا أن هذا لن يقـدم أو يؤخر في شئ فلقـد حاز عنـترة خلوداً لم تصل إليه عبس.

وإذا وصلنا إلى هذا المعنى نسـأل عن الدافع وراء مطالبة عنترة بحـريته وربطها باعتراف أبيه به هل السيادة أم المال أم للزواج من عبلة ابنة عمه ؟

والحقيـقة أن من يسأل عن سبب مطالبـة عنترة بحريته كـمن يتعجب - سائلاً شعبـاً يثور مطالباً بحريته لمَ أيها الشعـب تطالب بالحرية ؟! فالحرية مطلب في دماء الأحـرار ليس لهم حياة بدونهـا ولن يرقى سبب من تلك الأسباب لأن يكون هو دافع عنترة للحرية حيث الحرية غاية وليست وسيلة لغاية إلا أن تكون هى الغاية والوسيلة معاً.

بل دعنا نقول إن كل دافع من هذه الدوافع لا يسـتطيع أن يحرك رجلاً لمثل ما تحرك له عنترة ولو كان عنترة نفسه بل إن بعضاً من هذه الدوافع ما جالت يوماً بخـلد عنترة لأنه يعلم إن البحث عنها يسـتلزم البخل بالنفس أيضاً ليست السلطة والمال مما يستحقـان اتلاف النفس من أجلهما لأن قيمة الإنسان في ذاته لا في السلطة أو المال .

أما حب عبل فللناس أن تختلف فيـه كما يحلو لهم الاختلاف لكن لم تكن عبلة لتلتفـت إلى ذلك العبد الأسود وتعجب به مندهشـة إلا بعد ما يطالب بحريته ويعلن رفضه للذل والعبودية في قوة وإصرار تجبر عبساً على قبـولها والخضوع لهـا أما قبل ذلك فـلا، وقبل ذلك أيضاً ما كـان عنترة ليجرؤ على ذكر عبلة وهى من سادات القبيلة في شـعره إلا حينما يستشعر منهـا هذا الإعجاب والتـقدير تظهـره هى له سواء في صـورة حب أو في صورة إعجاب أو حتى في صورة خضوع مـثلما حدث من سمية زوج أبية أو في أى صورة أخرى .

* * *

الفصل السابع

عنترة والمرأة

قبل الحديث عن عنترة والمرأة ينبغى أن نتحدث عن المرأة وعنترة، وليس الحديث حديث تناقض وتضارب بقدر ما هو متشابك متداخل لا نستطيع فصله عن كل جزئية فيه لأن حديثنا حديث واحد وشخصيتنا شخصية واحدة. لكننا ننظر إليها من زوايا عديدة لأننا نراها تتفاعل مع واقعها الذى عاشته بلا رتوش تزينه أو تزينهاهى نفسها لهذا الواقع، ولما الزينة وهو حديث بعيد عنها وعن العصر الذى عاشته فلا تفكر فيها.

لكن ما الذى يدفع المرأة لتعترف بعنترة رجلاً ذلك العبد الأسود؟ وما الذى يدفعها لذلك إلا أن تكون قد رأت فيه ما لم تره فى غيره؟!

المرأة دائماً يأخذها العجب سواء من غيرها أو من نفسها فإذا كان العجب من نفسها انطبع فيها غروراً بلا حدود إلا حدود قادرة على تحطيم هذا الغرور، وإذا كان العجب من غيرها فهو إما أن يكون من امرأة مثلها أو هو من رجل، فإن كان من امرأة مثلها تولدت عندها فى نفسها الغيرة من تلك المرأة، والعجب أن كان من رجل انطبع عندها تعلقاً غير طبيعى بهذا الرجل قد يصل إلى أن يكون حباً فى قلبها له... هذا إن كانت المرأة حرة بلا قيود ـ فى نظرها ـ من

مجتـمع وعادات وتقاليد تأسـر طموحها تجـاه من تعجب به ــ وليس الدين من تلك القيـود والمرأة المتدينة ترتفع عن تفاهات النسـاء وعوار رؤوســهن ــ وإن كانت المرأة مـقيـدة بشئ مما سـبق فالعـجب عندها يتحـول إلى حسد ممن تعجب منه وكـره وحقد على من قيـدها لأنها تعتبر ذلك إذلالاً لها تتمنى لو أنها تتخلص منه.

والمرأة فى ديوان عنترة محدودة جداً ما بين زبيبة وعبلة وسمية زوج أبيه وزوجـه وحديث عنهـا عام يرصد نـظرته إليها ويجـسد أخـلاقه تجاهها.

ونظرة عنترة للمرأة هى نظرة العربى إليها ومنها ينبعث خوفه عليها وتقديره لها وكذا تعلقـه بها ورغبته فيها ولهذا فـهى تمثل له همّاً كبيراً يدفعه للتـضحية بنفســه فى سبيل نقاء هذا العنصر وطهـره طهراً مادياً ومعنوياً لأنه يرى فى هـذا النقاء نقاءه هو وهذا الطهـر طهره هو وهو الشرف الذى مـا قامت واندلعت الحروب والمعـارك إلا لأجله وهو إما مدافـعاً عنها وإمـا باحثاً لهـا عن المأوى والطعام حـتى لا تخرج هى للبحث عنهـا فتهان وتمتـهن، ولهذا لا يجب أن نستغـرب رجلاً هذا موقفه فى القرن الحادى والعشـرين يدعو لعودة المرأة للبيت فهو يحفظ كرامتـها ويعلى قدرها فلا هو يهينهـا ولا يبتغى تكبيلها وتقـييدها فى جدران بيته فى خدمته، ولهذا قل أن يتصارع الرجال فى مجتمع يخلو من النساء فإذا وجدت المرأة وجد الصراع وتنوع.

وإذا كانت عـبلة قد اسـتحـوذت على ديوان عنترة ــ فـقلَّ أن تجد قصـيدة ليس بها ذكـر عبلة أو التلميح إليـها ــ إلا أن المرأة فى ديوان عنترة ليـست عبلة فـقط. بل هى زبيبة تلـك الأم التى جاءت به إلى

الحياة وفتح عينيه عليها وفتحت عينيه على حياة مليئة بصراع رهيب دفعته إليه لسبب ما في نفسها فلم تكن تلك المرأة أمة عادية ولا أما فقط بل هي مدرسة عنترة الأولى تعلم وتخرج منها ليعترف بدورها في حياته..... وهي أيضاً سمية ـ زوج أبيه ـ تلك الأنثى التي لم تر في شداد طموحها المتدفق كنهر في رعونة شباب إمرأة إلا كهلا عجوزا يحقق بعضاً من أحلام صباها ويحطم فيها ذاك الطموح ولهذا أرادت أن تستعيد شيئاً ولو قليلاً مما فقدت من أحلامها الطبيعية التي هي أحلام كل النساء وها هو عنترة تلك الصخرة السوداء صاحب البنيان الجلد المتين والشاعر البارز الرزين والفارس المعلم في جميع الميادين شجاع حيث يجبن السادة قوى حين يخر الضعيف وحين يخر الأقوياء جواد عندما يشح الأغنياء قادر حينما يعجز الآخرون ... وماذا تريد المرأة من الرجال غير هذا بل إلا هذا...... وهي كذلك تلك الزوجة النكدية اللوامة التي ترى في كل عمل يقوم به زوجها ضرباً من الجنون و مقدمات بلا نتائج وأفعالاً بلا أهداف وتظن أنها المرأة الأنثى التي عليها الأمر والنهي وعلى زوجها الخضوع والطاعة !! لكن هيهات هيهات أما تدرى هذه المرأة بعد أنها زوج عنترة فارس العرب ؟! ربما تكون لا تدرى حقاً فمن النساء صنف لا يرى في الرجل إلا من يأتي بالطعام والشراب ويحسن أداء واجباته المنزلية كما تحب هي : وهذا الصنف من النساء غالباً ما تكون حياته منفصلة انفصالاً تاماً عن أزواجهن.

وإذا خرجنا من هذا المربع النسائي لم نجد لعنتره في ديوانه علاقة بالمرأة تشفى غليلنا لمعرفة المزيد عن حياته معها غير هذا وغير حديث

عام له دلالة لمعانى لن نتجاهلها فى حديثنا هذا وإذا كان للحديث عن المرأة فى حياة عنترة مجال فسنعرض له كما أخبرنا عن ذلك عنترة.

أولاً : زبيبة :ـ

من الناس ـ أدباء ومبدعين كتـاب ومؤرخين من يمر على زبيبة هذه مر الـكرام، وينظر إليهـا على أنها عنصـر خامل فى حـياة عنتـرة لم يتفاعل معهـا ولا تأثر بها لذا لا تستحق أن يوقف عندها، ومنهم من يراها شخصية ثانوية على هامش الشعور فى مسرحية حياة عنترة حيث ينظرون إليها على أنهـا تلك الأمة المستعبدة المقهـورة القابعة فى كنف سيدها تتفلى من قملها لتطعم به أبناءها فى حر الهاجرة ممن جمعه لها قر الشتاء.. حياة عابرة مرت متفلتة بنقطة مداد أحمر سقطت من قلم الراوى فى غفلة ليدونها التاريخ عفواً وبلا قصد حين لمع اسم ابنها بين صفـحاته قوياً عنيفـاً كسيل ينحدر مـن شاهق ليحفـر مكانه ثابتاً فى سجلات التاريخ.

إنها زبيبة وإنها أم عنترة وإنهـا تلك المرأة الحبشية التى هى من بيت ملوك الأحـباش من أصل حامى ومـن نسل عظيم فى بلادها خطفت عنوة وأخذت سبية بيد بنى عبس تخدم ذلك البدوى الغليظ وهى تعلم أن للأمة دوراً لن تجهله مرغمة عليه ستؤديه ذليلة منكسرة... دوراً ما فكرت فيـه ولا فكرت يوماً أن تؤديه لكنها أدته كـارهة وفيهـا إصرار على الانتقـام ... لكن كيف تنتقم تلك المرأة ـ عفـواً ـ تلك الأمة الضعيـفة من هذه القبيلة؟ لكن يجب أن نعى ولا ننسى أن كـيد النسا يغلب كـيـد الشـيطان .. أليس يقـولون هذا؟ بلى صـدق من قـال هذا...

ومن هنا ولهذا فلست أعتبر زبيبة عنصراً خاملاً أو ثانوياً فى حياة عنترة بل أعتبرها المحرك الأول والأساسى الداعى لثورة غنترة ضد بنى عبس ودعنى أتفلت من أن أقول ضد العبودية فهناك بون بعيد بين الثورة ضد بنى عبس والثورة ضد العبودية.

أنا العبدُ الذى بديارِ عبسٍ رُبيت بعزةِ النفسِ الأبية

بل هى المحرك الأول لثورة عنترة ضد أبيه ومن الدوافع الأساسية التى ينبغى ألا تجهل للتقارب بين عنترة وعبلة لغرض فى نفسها ، وللنساء فى هذه الأمور فنون. .

وهيا لنبدأ قصة زبيبة من فصلها الأول. . فلقد خرجت القافلة من أرض الأحابيش وعبرت البحر وسارت ببيداء قاحلة مترامية أطرافها بين يديها حاد يعرف دروبها كوشم يده لكن فى هذا الطريق أفواهاً جائعة وعيوناً مترقبة ونفسواً غائرة تفترس كل ما تجد أنه صالح للإفتراس. فهى عطشى للهجوم أياً كان هذا الهجوم وتلك قافلة تسير نحو قدرها المحتوم وقد تم الهجوم فمزقت شر ممزق بين أيدى الأعاريب بدو الصحراء وهنا توقف الزمان فى نفس زبيبة وعقلها فلقد كان الزلزال عنيفاً فدمر محطماً عقارب ساعتها البيولوچية ومعها انقلبت أوضاعاً فلقد أصبحت إبنة السادة سبية فى يد عمرو بن شداد بن قراد رجل من رجالات عبس أو من سادتها يلهو بها وقت لهوه وتخدمه بقية يومه، ومن بين ساعات لهوه خرج عنتره يشبه أمه سواداً - التى أطلقوا عليها اسم زبيبة كنوع من السخرية حين لم يعرفوا لها اسماً وعجزوا عن فهم لغتها كما هى عجزت عن فهم ما يقولون أول رقها - وكأن هذه المرأة أبت أن يأخذ هذا الوليد شيئاً من شداد بن قراد

لكن هيهات فلقـد خالفه قالباً لكن القلب واحد وامـتلكه الرجل كما امـتلك أمه قـبلاً فلقـد كان من عـادة العرب أنه إذا ولدت الأمـة من سيدها أصبح ابنهـا عبداً لسيدها، وكان من الممكن أن تسـير حياة هذا الوليد على هذا المنوال عبداً من عبيد سيده يحلب أغنامه ويرعاها.

وقد أمسوا يعيبوننى بأمى ولونى كلما عقدوا وحلوا

لكن هيهات هيـهات فهنالك من يتربص به قلب يحـترق فى صدر محطم تحوطه نفس ثائرة وعزيمة جبارة تمتلك مـاضياً مجيداً يملأها ناراً تلتهب على بنى عـبس تلك الأمة السوداء واستطاعت فـعلاً أن تحرك الوليد نحو غايتها كما تشاء بلا تراجع ولا استسلام.

أنا العبد الذى بديار عبس ربيت بعزة النفس الأبية

فلقد ربته فعلاً على عزة نفس وعـزيمة صلبة أبية وزرعت فى نفسه أنه لم يخلق للعبودية لأنه من نسل سادة عـبس وحام فأبوه عمرو بن شداد من سادة عبس وأمه حامية من بيت سيادة فى الحبشة.

منهم أبى شداد أكرمُ والدٍ والأمُ من حام فهم أخوالى

يقدمه فتـى من آلِ عبـسٍ أبـوه وأمـه مـن آل حـام

وشخصية زبيبة هذه شخصـية معقدة غير سهلة ولا لينة، ولقد نجح عنتره مبدعـاً فى تجسيدها لنا فى هذه الصورة المعقـدة حين رسمها فى صورة ضـبع أسود له ساق دقيـقة وشعـرها خشن مثل حـبات الفلفل وأسنانها ناصعـة البياض ما زالت تغطى وجههـا بلثام وهذه الأوصاف ليست صورة حسية يصفها بها بل لها فى نفسه لانطباع نفسى، غير أن ما يعـنينا هنا أن تضع زبيبـة لثامـاً على وجهـها وهى أمـة غيـر حرة

والمعروف أن الأمـة لا ترتدى اللثام ففـعلها هذا شئ من رفض الواقع وفيه تحدى فهى تتشبه بالحرة.

وأنـا ابن سوداء الجبين كأنـها ضبع ترعرع فى رسومِ المنزل
الـسـاقُ منـها سـاق نـعـامـة والشعرُ منها مثلُ حبِ الفلفل
والـثـغـر من تحـت اللثام كأنه بـرق تلألأ فى الظلام المسدل

لكن أن يصف عنترة أمه بالضبع ويشبـهها به فيلس هذا إلا لصفات غير سهلة فيها، ووصف جـسمها بالنحافة دلالة على نشاط هذه المرأة وكثرة حركتها وانتقالهـا من مكان لآخر بسهولة ويسر، وأما أن تحتفظ هذه المرأة وتداوم على نظافة أسنانها لتبدو بيضاء ناصعة فى هذه وتلك الظروف بل لديها مقدرة على الإصرار والعناد. . . ولقد حاولت زبيبة حينما تبصرت مـوقفها جيداً أن تتراجع وتعيـد عنترة إلى حياة آمنة ــ فى نظرها ــ حينما رأته يقبل عليهـا مدرجاً فى دمائه لأنها أيقنت أنها دفعته للمـوت والهلاك حينما أشعلت فى نفســه التمرد والعناد للثورة على عبس وعلى شداد.

تعـنفـنى زبـيـبـةُ فى المـلامِ على الإقـدَامِ فى يـوم الزحام
تخاف علىّ أن ألقى حمامى بطـعنِ الرمحِ أو طعنِ الحسام
مـقـالٌ لـيس يقـبـلـه كرامٌ ولا يـرضـى عـنـه غيـرُ اللئـام

لكن هيهات هيهات لقد أبت قـبلاً تلك المرأة إلا أن تثير نفسه ضد هذا الواقع الكئيب الذى كبلها وقيدها كثيراً فلماذا يتراجع الآن.

وفى الحربِ العوانِ ولدتُ طفلاً ومن لـبـنِ المـعامـعِ قد سُقِيتُ

من أين لهـذا الفـتى أن يتراجع ومن يـرده عن خوض المعـارك من يستطيع إيقاف هذا الطوفان؟

لكن لم يا أماه أنـت التى قلت لى قبلاً لأن الكرام لا يـقبلون الذل والخـضوع وربيـتنى على حب الحـرية ؟ لا لن أتراجع وليـأت الموت فمرحباً به بطعنة رمح أو ضربة سيف فهذا الشرف الذى أسعى إليه.

ولقد قـادت زبيبة ثورة عنتـرة على شداد بمهـارة، ولأن من النساء نساءً تفـوق الرجال كيداً ومكراً وتجـبراً واقتـداراً حتى أنك حين تحكم على عملهن وتصرفاتهن تخـجل أن تنسب هذا العمل وذلك التصرف لأمرأة وزبيـبة هى التى حـركت ثورة عنترة على أبيـه شداد بلا هوادة مطمئنة لذلك الأب أنه لن يقـتل فلذة كبده... لكن لما دفـعت عنترة لذلك؟

لأن اعتراف شداد ببنوة عنترة اعـتراف لها قبل أن يكون لعنترة ورد اعتبـار لكرامتها التى أهينت لسنين طوال، وهذا عنترة يتـشدد مع أبيه حينما يأتيه مستنجداً ليرد غارة الأعداء عن عبس فيجيبه عنترة إنى عبد لا أحسن سوى الحلب والصر فيضطر أبوه للإعتراف به ومنحه حريته.

ولإن كان لهذه الرواية دلالة ومعنى إلا أن قبولها ليس بالأمر الهين حيث تصـور عنترة فى صـورة خارقـة يقف بمفرده ليتـصدى لجـيوش الأعداء وتجمـعاتهم، كذلك يجب أن نؤكد أن لاعتـراف عبس وشداد بحـرية عنترة ونسـبـه لم يكن وليد مـوقف منفـرد كهـذا .. بل إن استكمال شخصيـة عنترة البطولية وبلاءه فى المعارك هو الدافع المحرك لبنى عبس للاعتـراف به حراً قبل أن يعترف به أبوه ابناً له، فـقد جاء

اعتراف شـداد به بعد ذلك إما نزولاً على إرادة عبـس أو لأنه شعر أن عنترة فخر لمن ينتسب له ولأنه إن لم يعترف به فلسوف يجهله التاريخ جهلاً تاماً، ولهذا أرى أن الرجل قد انتسب إلى ابنه وحاز منه الفخر، ولست أرى أن هذا الكلام كان بعيداً عن ذهن عنتـرة نفسه بل قد علم جيداً أن فخاره ومجده هو الذى ستنتب إليه عبس كلها:

ولـى بيـتٌ عـلا فـلـكَ الـثـريـا

يـخـرُّ لـعـظـمِ هـيـبـتـه البيـوت

بنى عبس سودوا فى القبائـل وافخروا

لـعـبـد لـه فـوق السمـا كـيـن مـنـبـر

وثالث الأوتار التى أجادت زبيبة اللعب عليها هى عبلة .

نعم لأن زبيبـة إمرأة مـحنكة ماهرة كيـدة علاوة على أنهـا موتورة وذات ثأر فى بنى عبس وقد عهدنا فيما عهدنا أن الرجل لا يستطيع أن يكيد للمرأة مـثلما تكيد المرأة للمرأة إلا أن تعاونه امـرأة فى الكيد لها وهذا لا خلاف عليه حيث المرأة لا تأمن جانب الرجل فتحذره وتصنع له ألف حسـاب فى حين تهمل أن تـأمن جانب المرأة فلا تحـذرها ظناً منها ألاّ يأتيها منها الطعن وكثير مما أصاب النساء لا يتم ولا يكتمل إلا بأيدى نساء أو بمعاونة نساء سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ومن هنا فلست أعتقـد أن علاقة عنترة بعبلة كانت بعـيدة عن زبيبة فى أى وجـه من وجوههـا بل لست أخجل حين أقـول أن هناك دوراً لعبـته زبيبة فـى هذه القصة على صورة مـا ولست ممن يقنع أن تكون زبيبة على طرفى حياد لهذا الموضوع المثير فى حياة عنترة.

وأخيراً فتلك هى زبيبة أم عنترة صورة تقترب من ابنها كثيراً وتبتعد عنه كثيراً فـحينما تبرز صفات الطموح والعناد وعـدم التسليم بالهزيمة على أي وجه فهى تشبه ابنها وتبتعد عنه لأن فيها شراسة تفوق شراسة عنترة وفيـها كيد لم يحتج إليه عنتـرة لكنها برغم كل ذلك أم عاشت لأبنائها ترعاهم وتحافظ عليهم وإن كانت لم تنس يوماً أنها قد عاشت حياة لم تخلق لها . . .

ومن أحب أن يتحدث عن عنترة فلابد أن يعى أنه ابن زبيبة.

ثانياً : سمية : -

كان من الممكن ألا يرد اسم سمية فى ديـوان عنترة فلا تذكر مطلقاً لأنها لا تحتل مـن نفسه خطاً إيجابيـاً فى التعامل معـها إلا فى أضيق الحدود والمواقف ولا تشغل بديوانه قضية مـا مثلها مثل رجل عابر قد مر بأناس فى طريقٍ رؤيته لهم وعلاقته بهم مـجرد مرورهم أمام عينيه فإذا ما مروا وتجاوزوه فقد انتهى كل شىء يربطهم به إن كان هذا الذى قلناه رابطاً يستحق أن يتعلق بـه الذهن لكن فى مثل موقف عنترة لابد أن تختلط الأحداث اختلاطاً بيناً متـجاوزة حدودها وتتشابك متداخلة مواقف وتتـعقد فـيها أولها الدوافع لأن عـنترة ذاته هو دافع من تلك الدوافع وهو المحرك لها وهو الغاية منها.

هذه مقدمة لابد أن تقرأ فتفهم فتحمل إلى عقل القارئ علاقة عنترة بسمـية وعـلاقتـها به، وإن كان عـنترة لا يدرى أن هناك عـلاقة وأنه المحـرك لها والدافع منهـا هو نفـسة إلا بعـد حين!! إنه عنترة فـارس

العرب الذى تتحاكى بشجاعته أفواه الناس جميعاً وتخمن فيه عقولهم وأحلامهم ما شاء لها التخمين فتـتوارد صدقاً وكذباً أعاجيب عن قوته وشدة بأسه وعـزيمته وعناده والناس دائماً مولعـة بالغريب والمرأة أولع والناس أبداً تقدر الشجاعة وتحب القوة وتأنس بها والمرأة فى ذلك أكثر وأكثر والناس ديدنهم تقديس البطولة والأبطال والاعتزاز بهم فرض فى نفوسهم والمرأة برغم عـدم عشقها للبطولـة إلا أنها تعشق الأبطال بلا حدود فى عشقها هذا لهم، والناس دوماً يضخمون الأحداث ويزيدون فيها على حسب هواهم والمرأة فى هذا أبرع وأجـدر فتلك لعبتها وذاك هواها ومن هذا أن يقول الناس لقد صارع عنترة أسـداً غدنفراً فصرعه وفتك به وافترسه، ويقولون أن عنترة يـتصدى بمفرده للجيش العرمرم فيطيح به ويجندل أبطاله وفرسانه حـتى يفنيه تماماً فلا يبقى له أثراً إلا فى أفواه الرواه يتأسفون عليه وها هم يذكرون موقفه يوم كذا ويوم كذا وكيف كـان بلاءه وبأسه فى الأعداء ولربما كـان منهم من لم ير عنترة ولم يلتق به مطلقاً وها هى سيرته قد بنيت مـعظمها على أخبار واهية خارقة وبأيدى رواة وهميين لا وجود لهم عبـر عصور متعددة وبأقلام وعقول متباينة لم نعدم فيها التناقض والاضطراب فضلاً عن التهويل، وقـد يظن ظان أننى أحـترم شـجـاعة عنتـرة وأقلل من شـأن الرجل ومـجده، وهذا لا يكون فـما دفـعنى للحـديث عنه إلا حبـاً تملكنى لبطولته وشـجاعتـه ، ويقول آخر : فـما بالنا نكذب ولا نصـدق ما يأتينا عن عنترة وعنترة نفسه هو القائل. . . .

وإذا جيوش الكسروى تبادرتْ نحوى وأبدت ما تكنُّ ضلوعها
قاتلتها حتى تمل وتشتكى كرب الغبارِ رفيعها ووضيعها
يخبرك بدر بن عمرو أننى بطلٌ ألقى الجيوشَ بقلب قدَّ من جبل
والغول بين يدى يخفى تارة ويعود يظهرُ مثلَ ضوءِ المشعل
بنواظر زرق ووجه أسود وأظافر يشبهن حدَّ المنجل
والجن تفرق حول غابات الفلا بها.... ودمادم لم تغفل
وإذا رأت سيفى تضج مخافة كضجيج نوق الحى حول المنزل
لا رفعتُ الحسامَ فى الحربِ حتى أترك القومَ فى الفيافى عظاماً
ولقد لقيت شدائداً وأوابداً حتى ارتقيت إلى أعزِّ مقام
وقهرت أبطالَ الوغى حتى غدوا جرحى وقتلى من ضراب حسامى
ومن عجبى أصيدُ الأُسد قهراً وأفترسُ الضوارى كالهوام

ولست أنكر أن يكون عنترة هو قائل هذا الشعر ولست أجزم له قوله هذا بل وما قيل غير ذلك مما هو أبلغ وأروع وأهول وأكذب أيضاً، وليس كذب الشعر مما يعاب فيه الشاعر ولقد قلت قبلاً: إن ما وضع على عنترة من شعر لم يوضع عليه إلا بحبكة ومهارة فنية عالية أجاد واضعها تقليد شعر عنترة بمهارة غير عادية حيث وضع قريباً من قريب، لكن الشعر خيال وخيال الشعر فيه حق وحقيقة وفيه غير الحق وغير الحقيقة ولسنا نرفض أياً من هذا فى منطق الشعر تحت أى منهج من مناهج النقد ولا نرتضيه فكلاهما ـ الحق وغيره ـ هما الشاعر، والشعراء يسرحون فى شعرهم وعالمهم فيقولون مالايفعلون

ومالايعـرفون لكنهم يقـولون ما يشـعرون ويحسـون ولست فى ذلك أعيب على عنترة فى شىء من ذلك فـميزان الشعر جمـاله من جميع الوجوه والصدق وجه له جمـال والكذب الفنى له دوافع تختلف كثيراً من عن الكذب الأدبى والأخلاقى وعهدى بالشعر حيناً بعد حين فكان أن قلت:

سلـى ليـلـى يا عـفـراءُعـنـى　　　تقـل أنـىّ وأنـى وأنـى

فلست أعـرف من هى ليلى ولاعـفـراء من تكون ولست أدرى مـا الذى أريد أن تخبر به ليلى عفـراء وأما أنى وأنى وأنى فأنى كاذب فى شعرى هذا وإنما هو شئ وقع بخلدى فقيدته.

وإذ ننسى لا ننسى أن النقد القديم كـان يعتمد مقولة أحـسن الشعر أكذبه، ولأنما هى أخيـراً أشياء وأفكار تأتى العقل بعضـها الصدق بل الكثير منها لكنها لن تخلو من الكذب والخيال والشعراء فى هذا وبهذا أولع وهذه بضاعتهم وذلك سوقهم وقلما تجد شاعراً غير كاذب وقلما تجد شـاعراً غيـر مصاب بالنرجـسية وتعظـيم الذات ولهذا دلالة ذات مغزى فى حياة العشراء وطبائعهم.

أما عنتـرة فقد حمل ديوانه لنا الصـدق الكثير بلا مبـالغة ولا تزيد وحمل مبالغة وتزايداً ومع كل ذلك حـمل كذباً وقريباً منه. وكل هذا هو عنترة.

ونعود بحديثنا عن سـمية التى قلنا عنها قبلاً.. هذه امـرأة افتقدت طموحـها كأنثى من أجل أحـلامها المـادية، والمرأة فى المقام الأول.. أنثى.. لها رغبات وطموح وأحلام أنثـى، وإشباع هذه الرغبة لديها تأتى فى المقام الأول فلا تسـبقها رغبـة أخرى ولا تتعادل معهـا رغبة

كانت ما كـانت، وإن فعلت المرأة وتنازلت عن رغبـتها هذه تحت أى ظرف فلتعلم أنه سرعـان ما ستعود لتتـطالب بما تنازلت عنه - فى غير وعى منها-فـى شراسة وبلا وعى أيضـاً وبأى وسيلة حـتى وإن كانت دوافع تلك المطالبـة ليست نداء مـن داخلها إلا أنهـا لن تكل ولن تمل حتى تحصل على ما تريد.

وسمية اختارت مثلهـا مثل بعض النساء أن تحقق أحلاماً مادية على حسـاب طبيـعتـها الأنثـوية عن طريق شداد وأرادت حـينما شـعرت بخسـارتها ــ أن تعـوض كل هذا عن طريق عنتـرة ــ أما شداد فـلقد التقت طمـوحاته وأحلامه ــ بـعدما خاض فى السن مـا خاض ــ فى تلك الفتـاة الناهضة المغرورة يستـعيد بها جزءاً من رونـق شباب ولى بعدما خط الشيب مفرقـه بعلامات بارزة لا تخطئها أى عين حين تراه لكنه شيء فى نفسه أشبه بصحوة الموت تعيد للإنسان عافيته للحظة فى لحظة يودع فيهـا الحياة ــ لكن هيهات أن يواصل شـداد حياة مع هذه المرأة أو يتواصل معها فى حيـاة ترضيها وتسعدها. لا بل هى لحظات البداية الغـريبة محملة بطمـوحات كاذبة لكل منهمـا ثم يعود كل إلى حال صوابه الذى كان عليه بل أقل حظاً منه.

وأما عنترة فـقد كان بعيداً تلاعـبه هموم عديدة وصراعـات متنوعة وأحلام يرى الزيف فيها قد سيطر وعلا. ما بين عبودية جائزة وساخرة فى ذات الحين وأبوة تائهة بلا معالم إلا ما يظهر من قـسوتها وتعسفها أما الهـوى فلقد امتلكتـه فتاة الحى عبلة وملـكت عليه أمره فسـحرته سحراً ليس منه فكاك.

ولقد ورد اسم سـمية فى ديوان عـنترة ثلاث مرات وتجـمعت هذه

المرات الثلاث لتجسد موقفاً واحداً أو مواقفاً مترابطة تكشف حقيقة العلاقة بين عنترة وبينها. . . ولكن ما تلك العلاقة ؟ إننا لن نذهب بعيداً ولن نذهب بالفكر فيها بلا مبرر ولا نتوهم فيها ما يسول لنا شيئاً ليس سهلاً أن يرمى به إنسان إنساناً بلا دليل، لكن وردت رواية فى ديوان عنترة تعليقاً على شعره فى سمية زوج أبيه تبين أن هذه المرأة قد اتهمت عنترة عند أبيه بأنه يراودها عن نفسها ويتحرش بها فقام أبوه ضارباً له وهمّ بأن يرفع سيفه ليقتله وهنا أسرعت سمية بالبكاء واستعبرت دموعاً ترجو بها العفو عنه!! ولقد جسد عنترة هذا الموقف فى سخرية لاذعة .

ولست من جانبى أرى أن هذه هى بداية القصة ولست أرى أن هذه نهايتها. . .

أما البداية فيرويها لنا عنترة قائلاً :

إنا كذلك يا سمى إذا غدرّ الحليم نمور بالخطم

وكل مرهفة لها نفذ بين الضلوع كطرة الفدم

لقد وقع عنترة بعين سمية أو فى عينيها وبشكل أو بآخر أرادت سمية عنترة ودعته إلى نفسها لكن هذا الفتى الأسود الذى هو عبد لها ولزوجها لم يكن ليوافقها على ما تريد وإلا فإنه يغدر بسيده رب نعمته كذا ليس هذا فعل الفارس الشجاع الذى وهب نفسه لقبيلته يحميها ويدافع عنها، وهذا الفارس الذى واجه الموت بصدره لينتزع حقه فى قوة وعناد يتحدى بهما الجميع كيف به يتخفي كالجبان يخاف ليسرق حق غيره!! وأى حق إنه الشرف، وأى غير إنه أبوه. . . . لا يا

سـمىّ إن الغدر ليس مـن طبعى بل الغـادر ليس إلا السـيف علاجـاً له . . .

وهنا تجسدت صورة عنترة فى نظـر سمية، صورة الرجل الكامل . . والرجل الكامل فى نظر هذا الصنف من النساء هو من يستطيع إرضاء أنوثتها وتجـد فيه كل آمالها وأحلامـها وهو فى ذات الوقت لا يخضع لرغـباتهـا ولا هو يرضى غرورها مطلـقاً بل يعـمل على تحطيم ذلك الغرور والمرأة فى ذلك تسعى وراءه بكل حيـلة ووسيلة وتصر عليه بلا تراجع . . . وها هى سمـية تشعر أنها قـد أهينت.ومن جانب آخر لا ترى للقـيد انفـراجاً فـالعمـر يجرى وهى أسـيرة ذاك الشـيخ الهـرم وأمــام عينيها أمل تصبو إليه كل امرأة وليس هناك مانع من أن تجرب مرة ثانيــة فمــا أروع المقـامرة عنــد امـرأة من هذا الطراز مع رجل عنيد صاحب شرف .

تعزيـت عن ذكـرى سميـةَ حِقبة

فبُحْ عنك منها بالـذى أنتَ بائـح

لعمرى لقد أعذرتُ لو تعذريننى

وخشنـت صدراً غيبه لك ناصـح

إن هذا عبد عنيد ما زال مـصراً على الابتعاد والنصح لكنه فى هذه المرة يحمل لهـا تهديداً أن يبوح أمرهـا لزوجها فلقد تناسى مـاأقدمت عليه ــ تلك المرأة ــ سـابقاً وظن أنها قد عادت إلى رشـدها لكنها قد تمادت فى الأمر ولذا فقـد سبق لها عذراً فالـيوم له العذر ألا يكون له عذر فيـها. . . . لكن هل نفذت كل محـاولات هذه المرأة؟ إنها امرأة

وإذا كانت سهامها قد طاشت قبلاً مع هذا العبد العنيد إلا أن هناك سهماً قاتلاً ما زال فى جعبتها فلترميه به وقد يئست منه لكن آن لها أن تتشفى فيه فهذه هى لذة المرأة المهانة فى أنوثتها وكبريائها لكن حذار أن يقتله هذا السهم فهى ما زالت حريصة عليه وما زالت تمتلك أملاً أن يعود إليها . . .

وقديماً رفضت إمرأة العزيز أن يقتل يوسف عليه السلام واقترحت أن يسجن أو يعذب فلربما يتراجع عما برأسه من عناد لكن أن يقتل فتقتل أمانيها وأحلامها فلا .

وها هى سمية تعلم جيداً أن هذا العبد يشتاق بشدة إلى حريته واعتراف أبية به ومن ثم يطالب بالزواج من ابنة عمه عبلة وحبيبة قلبه أما هى فقلبها قد احترق بيد هذا العبد الذى تأبى نفسها أن تعترف بعبوديته بل هو حر يأسرها بقيود لا فكاك منها؟ إذن لنشرب معاً يا عنترة من كأس واحدة نتجرعها حتى الثمالة ولنتعذب بها سوياً فلربما تتراجع عن رشدك وستجدنى فى انتظارك .

وهنا لا حرية لعنترة وليبق مجهول النسب ضائعاً ذليلاً فى القبيلة فكلانا فى شوق. وبسرعة ذهبت سمية إلى شداد ثائرة غضبى تملأ أذنيه بحديث عاهر عن هذا العبد الأسود . . !! لم يحتمل الرجل أن تكمل له سمية حديثه هذا ولم يحتمل أن يفكر فيه فقام ضارباً عبده واستل سيفه القاسى يسترد به شرفه ويرضى هذه الصبية لكنها صرخت خوفاً على قتله وارتمت على عنترة تمنع عنه ضربة السيف وعيناها تسقط وكأنها تمتلك قلباً يعرف الرحمة والحنان لتخدع هذا الشيخ الهرم لكن العبد تحتها يضحك ساخراً ويقول :

أَمِنْ سميةَ دمعُ العينِ تذْرِيفُ لو أن ذا منكِ قبلَ اليومِ معروف
كأنها يومَ صدت ما تكلمنى ظبى بعسفان سياجى الطرفِ مطروف
تجللتنى إذا أهوى العصا قبلى كأنها صنمٌ يعتادُ معكوف
المالُ ما لُكم والعبدُ عبدُكم فهل عذابُك عنى اليومَ مصروف
تنسى بلائى إذا ما غارة لقحت تخرج منها الطوالات السراعيف
يخرجن منها وقد بلت رحائلها بالماء يركضها المرد الغطاريف
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرض
تصفر كف أخيها وهو منزوف
لا شكَّ للمرءِ أن الدهرَ ذُو خلفٍ
فيه تفرق ذو ألفٍ ومألوف

لكن هل هذه هى نهاية القصة؟

إن الروايات تقف بنا عند هذا وعنترة نفسه لم يحدثنا بأكثر من ذلك !

ثالثاً : زوج عنترة : -

لا تذكرى مهرى وما أطعمتُه فيكون جلدُك مثلَ جلدِ الأجربِ
إن الغبوقَ له وأنتِ مسوءةٌ فتأوهى ما شئتِ ثُمَّ تحوبى
كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتى غبوقاً فاذهبى
إن الرجال لهم إليكِ وسيلةٌ إن يأخذوكِ تكحلى وتخضبى

ويكون مركبُكِ القعودُ ورحله ... وابنُ النعامةِ عندَ ذلكَ مركبى

إنى أُحاذر أن تقولَ ظعينتى ... هــذا غبـار ساطـع فتلبب

وأنا امرؤ إن يأخذونى عنوة ... أقرن إلى شــرِ الركابِ وأجنب

تلك الأبيات يتعلل بها الرواة ويفسحون الطريق ممهداً أمام من يقول بأن عنترة قد تزوج! وإن كنا من جانبنا لا نعرف شيئاً عن هذا تماماً كما نحن لا نعلم من هو يخاطب ومن يلوم فى أبياته هذه. . . . . . .

أما الرواه فلقد اتخذوا هذه الأبيات دليلاً على زواج عنترة بامرأة غير عبلة قبل أن يتزوج عبلة ـ فى زعمهم ـ بل وصفوا هذه المرأة بالبخل ولعمرى أن توصف امرأة من دون النساء بهذا الوصف فهو ظلم لها ولكل النساء فالنساء كلهن بخيلات والبخل ليس وصفاً فيهن بل هو طبع فطرت عليه المرأة ـ فالمرأة فى فطرتها بخيلة حتى فى عواطفها ـ إلا على أبنائها فهى أم لا امرأة ـ فالمرأة تنظر إلى مال زوجها ـ فضلاً عن زوجها نفسه ـ على أنه ملك خاص لها من ممتلكاتها الخاصة التى لا يحق لأحد سواها أن يتصرف فيها حتى زوجها صاحب المال ـ وعنترة يعلم منها هذا المنع عن فرسه ولذا فهو يثيرها معانداً ومستفزاً إياها حين يفضل ذاك الفرس عليها ولهذا فى نفس المرأة وقع أى وقع. . .

رابعاً : عبلة :ـ

إختلفَ الناسُ فى عبلةَ إختلافَ الصغيرِ والكبيرِ وكلٌّ قالَ ولكلٍ رأىٌ ولكلٍ حجةٌ. ولم يفسح أحدهما للآخر مجالَ النقدِ والإفهامِ

والتمييز ولم يسمع أى منهم لسواه أن يقول غير ماقال ورآه هو. وهذا عـجب جد عـجيـب، وكنت أظن أن الحديث عن عـبلة سـهل طيع لوضوحـه كل الوضوح ولظهوره جليـا بلا إلتواء .لكن وضح لى أن وضوحه خـفاء وظهوره غمـوض!! فقلب هذا ميزان حكمـى فيه من أوله حتى منتهاه.. تيقنت من هذا منذ أن بدأت خطة البحث عنها فى ديوان عنترة..... فمن عبلة هذى! حقيقة هى أم خيال؟ أم ترى هى طيف شعر فى ديوان عنتـرة أخترعه الشاعر وآتاه وحيـاً من نبع الشعر حين يأتيه إلهامه؟ وهل هى المقصودة والمعنية حقيقةً بإسمها هذا أم هذا إسم رمزى يرمز لغيرها وله فى معناه دليل على ذلك؟ وكيف هى من عنترة وكيف كانت معه ؟ وما حقيقة الحب بينهما؟ وما دافع كل منهما فى هذا الحب؟ وما نهايته؟ وهل تزوج عنتـرة من عبلة كما يقولون أو كما يقول بعض الرواة؟

أسئلة كثيـرة تحتار ويحتار فيها القلم، والقـارىء لا يرى غير عنترة ذاته مجيباً عليها وعنهـا، وحسبك أن يكون هو القائل المجيب لتشفى نفساً وتهدأ بالاً.

أيها القـارىء. لكن من أين للرجل حدسـاً أنك سائله عن كل هذا يوماً ما بعد دهر طويل وظـنه أن الموت طاويه فى غابة النسـيان كـما طوى قبله رجـالٌ ورجالاً. ولأنك إن أثقلت على الرجل فـستـجد له عزماً وإن أنت جادلته فستجد له فكراً ورأياً ولك أن تقبل ـ بعد ذلك ـ أو لا تقبل كما تشاء.

الذى قال: إن عبلة وهمٌ كاذب لا وجود لها!

قد ربط فى كلامه وحديثه بين حقيقة وجود عنترة ذاته ــ حين رفض وجوده قبلاً ــ وبنى عليه رفضه لوجود عبلة أيضاً، فما دام عنترة لم يكن له وجود حقيقى فالأولى والأجدى ألا نتحدث عن وجود لعبلة فى تلك القصة المختلقة لسبب ما.

ولقد رددنا على صاحب هذا الرأى قبلاً فى بدء كلامنا عن حقيقة عنترة حيث بيَّنا خواء هذا الرأى وبعد منطقه عن الحق والواقع وأن صاحبه إما ضال مضل وإما مخدوع مضلل لا يعلم شيئاً فيردد كلاماً سمعه بلا حجة ولا برهان إلا حجة العاجز البليد يأخذ بها شداة العلم برونق زائف فيه خبث لا ينظلى على الفاحص الأريب، وترديد هذا الكلام يستخدم الأدب قناعاً لمحاربة العقيدة. ومن قال برمزية عبلة وأنها من طيف وخيال الشعر جاء بها عنترة مثله مثل أى شاعر يتصور محبوبته من الخيال يخترعها على فكرة يجسد فيها مطلبه للأنثى التى يتمناها ليفرغ مشاعره وطاقة إبداعه، فالشعر طاقة طالما امتلأ بها عقل الشاعر ووجدانه تحتاج دوماً للإنطلاق والإنعتاق من أسرها فتخرج لتتشكل على أى صورة بلا أدنى حساب للواقع والحقيقة.

وصاحب هذا الرأى واهم بعيد عن فهم طبيعة الشعراء غير واف فهماً للشعر ومذاهبه وفردية كل شاعر وتفرده فى حديث القلب والحب حين يعصف به فى إمرأة حقيقية فتلهب عواطفه وتفجر ينابيع وجدانه ومشاعره، وحين يتمثل هو الحب بلا حب والوجد بغير وجد والشوق ولا شوق عنده بحرقة زائفة يتلاعب فيها عقله بوحى الأهواء فيتمثلها ويمثلها حسب هواه بلا هوى فى سرحة أو سرحات معدودة يتداخل فيها عقله فى هواه كثيراً، ثم ما بالنا نذهب بعيداً ولأن

الشخصية الوهمية المتخيلة لدى الشعراء لا تأخذ هذا الحيز وهذه المساحة كالتى أخذتها عبلة فى ديوان عنترة وشعره مهما وأيًّا كانت المحبوبة المتخيلة والمخترعة بيد صاحبها، ومن هنا يحق لنا أن نؤكد وجود عبلة كحقيقة واقعية عاشت حياتها فى حياة عنترة تماماً كما جاءت بديوانه ــ سواء توافقنا أو تخالفنا ــ بلا مواربة ولا خجل.

نعم إن الشخصية الوهمية المتخيلة أو الرمزية المستعارة قد يبعثها الشاعر ويخلقها فى شعره فى موقف أو عدة مواقف ليجسد فيها معنى أو يفجر منها موقفاً بداخله أو هو يبعثها كلفتة فنية لإيحاء رمزى لغرض ما سواء أعرب عنه صاحبه أو لم يعرب عنه لكنها أبداً لا تملأ حياته ــ ولو كانت فراغاً ــ بهذا الشكل ولا يتعلق بها بهذا القدر الذى وجدته عند عنترة حتى لتكاد عبلة تسيطر منفردة على ما لا يقل - حديثاً وإشارة - عن ثلاثة أرباع ديوانه بل قد يزيد عن ذلك.

وقريباً من هذا من يجسدون حقيقة عبلة كحقيقة شعرية فقط فيقولون بأنه وحى إلهام مبعثه وحى الشعر من عالم آخر - عالم الجن - على مذهب القدماء معتمدين فى ذلك على قصة للأعشى وموقفه مع الجنى الذي يأتيه بالشعر والتي وردت في بعض كتب الأدب حتى عدها البعض حقيقة مُسَلم بها، والحقيقة فيها - عندهم - شعرية فنية لا واقعية.

وبالرغم من طرافة هذا الرأى كطرافة قصة الأعشى إلا أن التسليم بها يتم لسذج العقول علاوة على أن هذا الرأى يكون تفسيراً للرأى السابق فلا هو يزيد المعنى معناً ولا هو يقربنا من الحقيقة أو الإقناع به.

وهناك رأى أخر يقـول : أن عبلة رمز على غيـرها ووصف لمسمى مـعناها يقـصد به عنتـرة إمـرأة أخرى بغـيـر ذات الإسم لكن لذات الوصف ــ لسـبب ما ــ حـيث العبل هو ضـخامـة الجسـد ــ والمرأة العبلاء هى الضخمة الظاهر مكامن الأنوثة منها وهو إيحاء ووصف لها فضلاً عن أن يكون مدحاً لها وثناءً عليـها فى آنٍ معاً، كأن عنترة حين يناديها يتغزل فيها بالوصف الحسى لها.

وصاحب هذا الرأى بعـيد عن فهم وصف عنترة وغـزله ــ إن جاز لنا أن نقول هذا ــ وهو من جانب آخر بقدر ما يؤكد وجود عبلة بقدر ما ينفى وجودها، وبقدر ما يظهـرها لنا يخفيها عنا ــ إن صح له هذا الرأى ــ ولن يصح ــ وقـد كان يصـح لو أن عنترة اسـتمـر فى ندائه لعبلة . ويستخدم هذا الوصف للتورية والإخفاء حتى لا تعرف ــ هذه الفتاة ــ فى قبـيلتها، لكن ما بالنا وعنترة يناديها مرة باسـمها وأخرى بابنة العم ومرة باسم أبيها ورابعة بموقف معهود لها . . أفلا يكفى هذا ليكون غير الإخفاء قصده؟ وما باله يسعى للإخفاء وهو يجليها لنا بلا مواربـه ولا خفاء؟ لا إن هـذا رأى يناقض نداء عبلة فى ديوان عنـترة على كل وجـه وكل احتـمال حتـى لم يعد للظن والاحـتمـال فيـها مجال . .

نهاية الأمـر نخرج من كل هذا إلى حقيـقة لا مراء فيـها ولا يمترى فيها دراس حـياة عنترة وأدبه ألا وهى أن حقيقـة وجود عبلة لا شك فيها ولا جدال حولها وهى حقيقة واقعية معاشة بكثير من مواقفنا التى رويت لنا نسلم بها تسليمنا بوجود عنتـرة ومن يقل غير هذا فليقدم لنا حججاً تقنعنا أن نحيد عن موقفنا هذا.

لكن لماذا نحن وقفنا أمـام وجود عبله هذا الموقف؟ ولماذا بحثـنا فيه هذا البحث ومـا الغاية من وراء كل هذا وقد كان بوسـعنا أن نخوض فى حياة عنترة وحبه لعبلة مباشرة بلا أدلة على غير ذلك فوجود عبلة بديوان عنتـرة وفى حياته أمـر مسلم به فى ديوان العـاشقين فـإذا ذكر عنترة فلابد من ذكر عبلة كقياس له أو عليه؟!

والحقيقة أننا ذهبنا فى هذا المـذهب وخضناه لغرض أبعد من إثبات حقيقة وجود عبلة وحـقيقة حب عنترة مع أن نفى وجودها معناه نفى جزء كبير من ديوان عنترة وتقويض جانب هام من شخصيته بلا جدال وأردنا أن نخوض فى هذا الحب من جوانب عدة ونستعين ونستبين منه علامات ودلائل فى حـياة عنترة ـ أو منهاـ بل قبل حقـائق وخصائص أبعد من حب رجل لامرأة ، كذا لكى ننفى عنه ما لصق به على ألسنة أناس وأقلامهم مما يهدم مـواقفاً وجوانباً ذات معـانى جديرة بالاحترام فى شخـصيـة هذا الرجل. ولا تتعـجب أيها القارئ مـن كلامى هذا فعنترة الآن عند كـثير من الناس محب عاشق ولهان ثار على عـبوديته وحارب وقـاتل مناضلاً من أجل حبه لـعبلة لا من أجل قيمـة الحرية والتى هى فى ذهن هؤلاء شـئ ثانوى لا وجـود له عند هذا الرجل، وإنى أعتـقد أن وجود عبلة وحب عنتـرة لها لم يكن قبل نبـوغ عنترة وبروزه فارساً شجاعاً يستميت فى الدفاع عن حريته وقبيلته ببسالة غير معهودة لغيره، كذا عناده فى المطابقة بنسبة وإصراره على ذلك ونبوغه كشاعر يفوق غيره من شعراء القبيلة وإلا فحدثونا ما الذي سيدفع فتاة حرة من أحـد بيوت القـبيلة أو من ساداتهـا لتتقـبل حب عبـد أسود وترضى أن يذكرها فى شعره مشبـباً بها بلا مبرر إلا مبرر الحب وكأن

لا أسباب لهذا الحب؟ إن لـلحب أسباباً ومهما خفـيت تلك الأسباب ومهما غامت دوافعه عنا فهى أسباب منطقية إلى حد كبير . لكن هل كان سيصمد حب كهذا أمـام تقاليد القبيلة وعاداتها ثم ألم يكن أهون على عبس وسـاداتها قتل عـبد أسود تجـرأ على أسياده واعـتدى على شرفهم حين يسـعى ليتشبث بفتاة حـرة ألم يكن أهون عليهم قتله فى سبيل الشرف الذى يتعلق به العربى؟ . . . .

إن وجـود عـبلة طريق ممتلئ بكثـيـر من عـلامـات الاستـغـراب والاستفهام ولابد من إثبات إجابات منطقيـة لها حتى نبدأ فى التفسير والخوض فيها على بينة ويقين ومن هنا كانت محاجتنا فيه ولهذا كانت غايتنا منه. . . . عبله حقيقة؟ نعم لا جـدال فيها. . أحبها عنترة؟ عن هذا سيدور حديث طويل.

وعلى هذا يحق لمن يسأل أن يسأل من عبلة هذه، ومـا علاقة عنترة بها والحديث عن عبلة هنا توزع ما بين هل هى ابنة عمـه حقيقة ونسباً من نسب أم هى امرأة أخرى من القبيلة هام بها عنترة؟!

وعلينا قبل أن نجيب عن هذا السـؤال أن نسأل ولما هذا الجدل حول عبلة وما القصد من وراءه؟! لقد دار الجدل حول عبلة وسببه أن عنترة فى نداءه لها لم ينسبها إلى عمه يقيناً أى بلفظ صريح ينسبها به إليه — على كثرة مـا ناداها فى ديوانه . . . .فقد ناداها بيا ابـنة الأعمام وابنة السادات وابنة العبـسى، وهذه كلها نداءات تبعدها وتزرع الشك فـيها أكثر مما يقـربها وتدنيها وتؤكد قـرابته بها، والنداء إليهـا بيا ابنة مالك ليس دليلاً مـؤكداً على كون مـالكاً عمه بل مـسماه وهو مشـهور بين

مسميات العرب والنداء بيا ابنة العم جاء عرضنا مرة واحدة فى قصيدة قد تطرق إليها الشك كثيراً.

سلى يا ابنةَ الأعمامِ عنى وقد أتت° قبائل كلب مع غنى وعامر

هلا سألت يا ابنة العبسى ما حسبي
عندَ الطعانِ إذا ما حمُرت الحُدق

تقول ابنة العبسى قرب حمالنا
وأقداسنا ثم انج إن كنت ناجياً

عذابك يا ابنة السادات سهل
وجور أبيك إنصاف وعدل

هلا سألتِ الخيلَ يا ابنة مالك
إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمى

رحلتِ وقلبى يا ابنةَ العم تائه
على أثرِ الأظعانِ للركب ينشد

سقى اللهُ عمى من يد الموت جرعة
وشُلّت يداه بعد قطع الأصابع

كما قادَ مثلى بالمحالِ إلى الرّدى
وعلّق آمالى بذيلِ المطامع

لقد وعدتنى عبلة يوم بينها
وداع يقين أننى غير راجع

لكننا إذا ما طالعنا نسخة الديوان برواية الخطيب التبريزى فسنجد

نداءً لعبلة بقوله فتاة بنى قراد وهذا النداء مع ما سبق يؤكد على أنها ابنة عمه حقيقة ويزيل عنها كل شك ولبس.

لمنْ طللٌ بوادى الرملِ بالى ... محتْ آثاره ريحُ الشمال

وقفت به ودمعى من جفونى ... يفيضُ على مغانيه الخوالى

أسائلُ عن فتاةِ بنى قرادٍ ... وعن أترابها ذاتِ الجمال

ويجب أخيراً أن نقف أمام جميع هذه الروايات ولإجماعها وتنوعها على أنها تؤكد حقيقة عبلة وعلاقتها بعنترة كإبنة عم له بلا شك خصوصاً وأنه لم يصلنا عن هذه العلاقة خلاف ذلك، لكنها اجتهادات فردية لأصحابها. وما من حديث لعنترة إلا ويقرب هذه الحقيقة حتى تطمئن إليها تماماً...

ثم إنى أحب أن أضيف : أن ليس كل شعر تطرق إليه الشك قد أصبح مطروداً من ديوان الشاعر بلا رجعة وأننا قد أصبحنا فى غناء عنه ، فالشك فى كل عصر له أدواته ومناهجه التى يعتمدها فى تمحيص الشعر ورصده وكشف غثه من ثمينه، وهذا عكس قضية الانتحال عند الدكتور/ طه حسين فهى مستمدة من أدب الاستشراق وهى إذا اتفقت فى شئ مع النقد العربى القديم فليست هى هى ولا دوافعها مثل دوافعها ولسوف يأتى من يتكلم فيها بفكر جديد وبأسلوب مختلف وبخطة بحث مغايرة وستقبل وترفض ويدار حولها صراع أدبى وغير أدبى لأنها قد صارت أدباً فى حد ذاتها يحمل مقومات وجوده وتواجده فى الزمن الذى وجد فيه، وهى قضية لم تنتهى تماماً ولم تتشكل أبعادها باكتمال تام وأخشى ما أخشاه منها ألا يصبح لشعراء الجاهلية شعر قالوه ولا حياة عاشوها بل أخشى على

العصر الجاهلى ذاته ألا يكون له وجود، ولقد ألمحنا قبلاً إلى أن الشعر الذى وضع على هؤلاء الشعراء قريباً من قريب ولقد وضع بدقة وبإحكام لهدف ما ولأسباب ليست سهلة وبمهارة شديدة حتى أنك تكاد تتلمس فيه روح من وضع عليه وأسلوبه وعصره!! فكيف نستطيع أن نصل بمقدرة النقاد والأدباء فى الكشف عن الزائف الدخيل إلى قدرة ومهارة الوضاعين هذى، وهنا نأتى للسؤال هل تزوج عنترة من عبلة؟

حديث زواج عنترة من عبلة جد شائق شيق لمن يخوض فيه، ففضلاً عن إختلاف الروايات التى تناولت عنترة فى كل شىء فلقد تشعبت هذه الروايات كثيراً هذا وعلاوة على ذلك فلقد ساهمت الدراسات الأدبية فى هذا الخلاف بجهد غير منكور فظهرت آراء وتباينت حجج ببرهان وغير برهان.

والخوض فى هذا الموضوع إن لم يكن من الصعوبة إلا أن السهولة فيه غير متوقعة ولا هى طيعة جليلة لكن أرى أن سبب هذا الإختلاف وتشعبه هكذا منشأه الأساسى هو البعد عن المصدر الأساسى فى هذا الموضوع وأعنى ديوان عنترة، أيضاً إن اختلاف نسخ الديوان وتعددها بدرجة ملفتة للنظر يصح أن يكون عاملاً من ضمن العوامل التى أوجدت هذا الخلاف، كذلك إختلاف الروايات فى هذا الموضوع وكأنها تعرض لفكرة منتظرة لاالحدث تم ووقع ماضياً لذا فهى لا تبعث على الإطمئنان لأن مصادرها مبتورة وحين نعتمد عليها نستشف منها المعنى لغرض نتوخاه لا لكون الرواية حقيقة مسلم بها، وقد أحسن صنعاً كل من الأصمعى والمفضل الضبى حين ابتعدا عن الخوض فى

حديث زواج عنترة من عبلة، وما نرى ابتعادهما هذا إلا لعدم تمكنهم من التأكد من هذا الخبر أو تكذيبه بأدلة يقينية، وعلى جانب آخر فليس من حقنا أن نلوم ونعتب على من خاض فى رواية اعتمدها أو فكرة استنبطها فكلاهما قد ابتغى أداء وحمل الأمانة العلمية من جانب يراه هو الأصوب وبحسن نية تدفعه لهذا. . لذا فالناس أمام خبر زواج عنترة من عبلة فريقان، وكل فريق معه حجته التى تكاد أن تكون مقنعة إلى حدٍ بعيد .

أولاً من يوقولون زواج عنترة من عبلة. . وقد اعتمدوا على :

أ - هناك عدة روايات للسيوطى ولأبى هلال العسكرى والميدانى

تؤكد على أن عنترة قد تزوج من عبلة

فالسيوطى يقول : قال له عمه . . إنك ابن أخى وقد زوجتك ابنتى عبلة.

وأبو هلال يقول فاستلحقه أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته.

والميدانى قال : قال له والده . . كر وقد زوجتك عبلة ، فكرّ وأبلى ، ووفي له أبوه بذلك وزوجه عبلة.

ب - عناك قصيدة فى إحدى نسخ الديوان وهى نسخة الخطيب التبريزى يقول فيها عنترة :

آحرقتنى نارُ الجوى والبعادِ بعد فقدِ الأوطانِ والأولاد
شابَ رأسى فصارَ أبيضَ لوناً بعد ما كان حالكاً بالسواد
وتذكرتُ عبلة يومَ جاءت لوداعى والهمُّ والوجد بادى

جـ - إن حصول عنترة على حريته واعتراف أبيه به يجعله أحق بابنة عمه من غيره.

د - ليس هناك من كان يجرؤ على طلب الزواج من عبلة فى وجود عـنـتـرة.

هـ - وجود عـبلة فى ديوان عنترة فى معظم قـصائد ديوانه فى هذه الصورة لهو دليل أكـيد على زواجه بها لأنها لو تزوجت غيـره فحاشاً بعنتـرة وهو العربى الشـهم الأصيل صـاحب المبادئ والمثل العلـيا أن يتغزل فـى امرأة متزوجة من غـيره ويذكرها فى شـعره . . . وهذا ما تأباه نخوة العربى.

ثانياً : من يقول بعدم زواج عنترة من عبلة يعتمدون على :

أ - إن عنترة قـد حصل على حـريته ونسبـه باعتـراف أبيه فى سن متأخرة وليس فى مـرحلة متقدمة من عمره، ومسـتحيل على عبلة أن تتزوج بعبد كذا ما كان عنترة يجرؤ من الزواج منها وهو ما زال عبداً، كذلك مـا كانت هى لتنتظر بدون زواج حتى هذه السن المتـأخرة التى حصل فـيها عنـترة على حريتـه خصوصـاً وأنهما كـانا متـقاربين فى سنهما.

ب - إن عادة العرب كانت عدم تزويج من يشبب ببنات القبيلة.

وطالما عنترة قد شبب بـعبلة فى شعره فما كان لعـمه أن يزوجها له ولو حصل على حريته واعتراف أبيه به.

جـ - هناك قصـيدة فى ديوان عنتـرة برواية الأصمعى يسـخر فيـها عنترة صراحة من زوج لعبلة فيقول :

أما تريـنـي قد نحلتُ ومن يكُنْ   غرضاً لأطـرافِ الأسِنّـة ينحَل
فـلـرب أبلـجٌ مثـلَ بعلكِ بادنٌ   ضخمٌ على ظـهرِ الجوادِ مهبل
غـادرْتـه مـتـعـفـراً أوصـالــه   والـقـومُ بـيـن مجرحٍ ومجدل

هذان رأيان والحجج فيهما قـوية و الترجيح لأيهما يصعب لو نظرنا بعين صاحب كل حـجة لأننا قد نكون على قناعـة بما قالوا، ومن هنا ينبغى لمن يبحث أن يخرج من قـيد هذة الحجج، وليس لنا من خروج إلا أن نبحث فى حب عبلة لعنترة كيف كان؟

هل حقـاً أحبت عبلة عنترة مـثلما أحبهـا؟ ثم ما هى الدوافع التى حركت ودفـعت عبلة لتفكر فى عنتـرة متنازلة فى ذلك عن كبـريائها ووضعها الإجتماعـى؟ وبعد ذلك علينا أن نترصد و نسأل. . كيف تم زواج عبلة من هذا البعل الذى سخر منه عنترة؟

أسئلة حيرى ويحـتار فيها كل حائر لكنهـا بلا شك تحمل إجابة لها دلائل ومعان.

بداية للناس أن تقول فى حب عنترة وعبلة مـا يقولون ، ويرون فيه ما يرون، ولغيـرهم أن يقول وأن يرى، وما دام الطريق مفـتوحاً لكلا القولين والرأيين حسب اجتهـادات أصحاب تلك الآراء والأقوال فعلى القارئ ــ ولـه ــ أن ينظر وأن يرى فيقـول ويختـار ما تصوبـه عقله وترتضيـه نفسـه، ولهذا لنا أن نقول وأن نرى مـا دامت لنا رؤية ولنا قول. .

ومن هنا. . . . ولو كان الأمر بيدي لأخرجت عبلة هذى من ديوان العشق وأدب العاشقين ــ فما هى عاشقة هامت بحب عنترة مثلما هام

بها ولا هى أحبت عنترة قط ولا بادلتـه حباً بحب، وأن أقصى وأجل ما تستحـوذ وتحوذ عليه تلك المرأة فى قصة حياة عنترة أنهـا مثلها مثل أي امرأة من بنى عبس أعجبت بعنتـرة الفارس الشجاع والشاعر البليغ إعـجاباً لم يتطرق ولـم يرق أن يـكون حبـاً فى يوم ما يخـرجهـا عن عصبيتها الجاهلية السوداء ونظرتها إليه بأنه العبد الأسود.

ولقد قلنا قبلاً ــ حين الحديث عـن سمية أن المرأة تعشق البطل ولا تعـشق البطولة وهذا العشق للبـطل دون البطولة وليد طبـاع فى نفس المرأة وصفات فيها من الأنانية وحب السيطرة والتملك فالمرأة لا تعنيها الشجاعة كقيمة ولا تعنيهـا شجاعة المرأة ــ إن وجدت للمرأة شجاعة ــ إنما يعنيها الرجل الشجاع فتعـجب به لا حباً فى الشجاعة والبطولة والإقـدام إنما ترى إذا هى لم تعـجب به أتت من تعـجب به من بنات جنسها فتحركها الغيرة فتسرع هى إليه. كذا المرأة لا يعنيها الحق كقيمة لكن تؤخذ جداً وتعجب بمن يقوم مدافعاً عن الحق وحبذا لو كان حقاً لها فإذا كان الحق عليهـا كانت ثورة المرأة على الحق ومن يدفعه تحاربه والحق معه.

هذا ما نقصده من وراء هذا المعنى فعـبلة لم تحب عنترة إنما أعجبت به، وليتها أعجبت به إعجاباً طبيعـياً من دخيلة نفسها لقيمة عنترة ذاته كشخص شجاع حر النفس أو ليتها أعجبت به لقيمة البطولة فيه، لكن عنترة عندها العبـد الأسود وإعجابها به دافـعه الغيرة والحسـد إعجاب امرأة رأت نساء تتكالب إعجابا برجل لا يعدله رجل فى القبيلة بل قل فى شبه الجـزيرة. فلم تقبل وأبت أن تحرم أنوثتهـا ودلالها من خوض غمار هذا المعترك خصوصاً وأنها تمتلك من أدواته ووسائلة ما لا تملكه

فتـاة غيـرها، تمتلك حقـاً ما يمكنهـا لخوض هذا الصـراع بكل جدارة واقتدار جمـالاً متفرداً وأنوثة مدللة وقرابة ونسبـاً علاوة على سيادة ــ فى ظنها ــ على هذا العبد تأسره بها!

إنه إعـجاب المرأة المغـرورة المتكبرة حين تغـار، إعجـاب لن يصل مطلقاً ليكون حباً نابعاً من مشاعر صادقة وإحساس سليم لأنه إعجاب السيد بعبده إعجاب فيه حقد وفيه حسد، إعجاب لن يصل ليكون حباً نابعاً من صفاء نفس وصدق مشـاعر لأنه يضع حدوداً كثيرة بينه وبين من يعجب منه لذا فلن يتقدم خطوة واحدة للخوض فيمن يعجب به، إعجاب لا ينسى عبوديته ولا سواد لونه ومـهما طال الإعجاب ومهما تضاعف قدره واقتداره وما هو بمتضـاعف قدراً ولا اقتداراً فهو موزون بدقة ومحاط بتلك القيود من أجـل أن يوظف لغرض ما ويستخدم فى أمر ما. ولقد كان عنترة على يقين بأن عبلة لم تنس عبوديته مطلقاً ولا سواد جلده مهما علت به بطولته ولذلك كثـيراً ما كان يواجهها بذلك فى شعره :

دعينى أجدُّ إلى العلياءِ فى الطلبِ
وأبلغ الغايـةَ القصوى من الـرتب

لـعـل عبـلـة تضـحـى وهى راضية
على سوادى وتمحو صورةَ الغضبِ

إذا رأتْ سـائـرَ السـاداتِ سـائـرةً
تزورُّ شعرى بركنِ البيتِ فى رجب

ألا يا عبل قد عانيتِ فعلى — وبانَ لك الضلالُ من الرشاد
وأن أبصرتِ مثلى فاهجرينى — ولا يلحقك عارٌ من سوادى
أُذَلُّ لعبلة من فرطِ وجدى — واجعلها من الدنيا اهتمامى
وأمتثل الأوامر من أبيها — وقد ملك الهوى منى زمامى
رَضيتُ بحبها طوعاً وكرهاً — فهل أحظى بها قبل الحِمَام
وإن عابت سوادى فهو فخرى — لأنى فارس من نسل حام

وهنا يجب عليك ويحق لك أن تقارن بين إعجاب عبلة بعنترة وإعجاب سمية به وتفرق بينهما فى هذا الإعجاب ليسهل عليك فهمه والنظر إلى غاية كل منهما فيه ودافعها إليه كما أن المرأتين قد أعجبتا بعنترة لا شك فى ذلك ومنشأ الإعجاب عندهما قريباً من قريب. وهو الغيرة والحسد لكن طبيعة كل إعجاب تباين الآخر مباينة الضد لضده كذا إن كان هناك تشابه فى المنشأ إلا أن الدافع فيه عندهما مختلف أيضاً.

فغيرة سمية فيما تطلب وتريد وغيرة عبلة مما تنفر ولا تريد ، فالغيرة موجودة . . نعم لكن دوافعهما متناقضة عندهما ومن هنا فيحق لنا أن نصف إعجاب سمية بأنه إعجاب المرأة بالرجل ونسميه إعجاب الرجولة كذا نصف إعجاب عبلة بأنه إعجاب السيد بعبده ونسميه إعجاب السيادة. وهذا هو طبع وطبيعة كل إعجاب منهما ـ وطبيعة الرجولة فى عنترة تتناقض حتما مع طبيعة السيادة فى سادته ولذا فلا هما يلتقيان ولا يلتقى معجب بهما فى أى زمان وأى عصر ـ وإعجاب سمية بعنترة فيه سهولة ولين وهو قابل للتطور ليصير حباً

حقيقـياً فى يوم ما ـ إذا توافرت ظروف ومبررات سـوية تبادله وتغيره وهو إعجاب معلق بآمال وأحلام حقيـقية وقد يحق لنا أن نسميه أيضاً إعجاب الحاجة لأنه إعجاب طبيـعى تحركه عوامل طبيعية في نفس أى إمرأة تجاه أى رجل أمـا عبلة فإعجابها اعـجاب السيادة فيه كـبر وفيه شراسة وتصلب غير قابل لأن يصبح حباً حقيقياً فى لحظة ما ـ إلا أن تتنازل عن مقومـاته ودوافعه نهائيـاً ـ وهذا لن يكون من عبلة ـ وهو أخيراً إعجاب فيه ثقة وغرور وله أغـراض متشعبة ويحق لنا أن نسميه أيضاً إعجاب المضطر.

والفرق بين الحاجة والإضطرار هنا ليس كـالفرق بين الطول والقصر ولا هو كالفرق بين البياض والسواد إنما هو كالفرق فى درجات الطول والقصـر ودرجات السواد والبيـاض وأعنى أن الفروق بينهما مـتداخلة ومستقلة استقلالاً معهوداً تبرزه طبيعة كل منهما ومواقفه...

لكن إذا كنا قد علمنا حاجـة سمية فى إعجابها بعـنترة فما اضطرار عبلة فيه؟

والحقيـقة أن اضطرار عبلة للإعـجاب بعنترة يتمـثل فى عدة دوافع منها :

دافع الشهرة ودافع الغيرة ثم دافع القرابة.

وليست هذه الدوافع لدى عبلة مطـلوبة لذاتها فقط بل هناك وراءها دوافع أخرى فـى نفس عبلة هى المحـرك الأساسى لهـا. فمـثلاً دافع الشهـرة وعلو الصيت وكلنا يعلم غـرام لمرأة بالشهـرة وعلوم الصيت لكن بحث عـبلة عن الشـهـرة والصـيت ليس فـقط هو المطلوب بل

الغرض منه أن يتردد اسمهـا في كل مكان وعلى كل لسان ليدنو إليها سادات القبـائل خاطبين لها فتنتقى منـهم ما تريد. . . ولله در شوقى حين قال :

صيرها عنترة ناراً على رأس علم

ودافع الغيرة ليس فى حـد ذاته هو الحقيقة التى اعـتملت فى صدر عبلة لكنه عبارة عن إثبات ذات فقط، أى كى ترضى غرور نفسها بأن تثبت لبنات جنسها تفـوقها عليهن فيما تتفـوق وتفوق فيه المرأة المرأة، أما غيرتها على عنترة ذاته من بنات جنسها فلا وجود لهذه الغيرة عند عبلة ولقـد أحسن عنترة صنعاً حـينما لم يذكر لنا بديوانه بيـتاً واحداً يجسد موقفاً غارت فيه عبلة على عنترة - ولو من حيث السماع - وهل يخلو حب امرأة لرجل من شئ كهذا؟ إن دليل الحب عند النساء ودليل المرأة فى هذا الحب الغيـرة وقيمة الحب عند المرأة تعـجز أن تفضـحها المواقف لكن تفضحها الغيرة فى يسر وسهولة. . فما بال امرأة يفتضح حبها ويعلن ولا نجد لها موقفاً واحداً تغار فيه على من أحبت؟ إن حباً مثل هذا يكون قد افتقد مقوماً أساسياً من أهم مقوماته.

ودافع القرابة ليس هو فى أحقيتهـا بابن عمها. . . فلا هى تحبه ولا هى تريده زوجاً لها. إن عـدم التفات عنترة لها وهـى ابنة العم ــ فيه خسـارة كبيـرة لها وفيـه مدعـاة للقيل والقال. فلمـاذا ترك بنت العم القريبـة ذات الجمـال المدلل وأحب غيـرها إلا أن يكون لعيب يعـرفه فيها؟

والمرأة عمـوماً أمام هذه الدوافع تحـركها فطـرتها وغريزتهـا قبل أن تكون لها فكرة تعتمد عليها أمام هذه الدوافع .

لذا إذا أردنا أن نقيم موقف عبلة من عنترة فى كلمة جامعة نقول : وحب عنترة لعبلة كـان وسيلة لذة لها تتلذذ بها حين تعذبه وتسـتعبده بهذا الحب وتـتلذذ به بين أقرانها حـين تتالى عليهـن، علاوة على أن حب عنترة لها كان وسيلة من فتح باب الشهرة لها بل هو الخلود الذى يسـتعـذبه أى طمـوح فى أى نفس، وليس امـرأة إلا وهى تعشق مـا تعشقه عبلة، وعبلة نفسها كـانت تعشق وتهيم بما يحققه لها عنترة من شهرة ومجد خالد فتـواصل حبل وداده ليواصل هو ذكرها فى قصائده لكنهـا أبداً ما كـانت تقبل وهـى المرأة الجمـيلة ذات الطموح العـالى المتعالى أن تعاشر عنترة ذلك العبد الأسود أو تقنع به زوجاً لها .

ومن هذا المنطلق لو عبرنا عن رأينا بأن عـبلة ما تزوجت عنترة وما كان لها أن تتزوج لهذا السبب فقط وهو عـدم صدقها فى حبها لعنترة علاوة على أنفـتها منه ــ من عـبوديته وسـواد لونه ــ لكان هذا دليلاً كافياً على ما نقول .

لكن يحب علـينا أن نعـود لكلا الفـريقين من جـديد لنقف أمـام حججهما مستقرئين لهـا فنعمل على تفنيدها ونغربل فيها فلربما كانت لحجتنا حجة ولدليلنا برهان لتأكيد ما نقول .

أولاً . . . . . . الذين قالوا إن الروايات قد ذكرت زواج عنترة بعبلة وأنه ليس هناك رواية واحدة تذكر عدم زواجه بها!

نقول لـهم إن هذه الروايات التى اعتـمدوا عليـها فى تأكـيد زواج

عنترة من عبلة تعتبر روايات ضعيفة لأنها متأخرة نوعاً ما ثم إن أثبت روايات الأدب وأقدمها توجد عند الأصمعى وكون الأصمعى لم يتكلم فى هذا الموضوع وهو الثبت الحجة المدقق فى اختيار ما يروى لهو دليل علي تطرق الشك إلى تلك الروايات خصوصاً وإن مصادرها الأصلية غير معروفة لنا بل إن عنترة نفسه لم يذكر خبر زواجه من عبلة فى شعره ــ وهذا أمر غريب ــ وهو أمر لو تم ما كان لعنترة أن يتغافل عنه فزواجه من عبلة ليس انتصاراً لحبه فقط بل هو انتصار على عبوديته واعتراف موثوق بحريته.

ثانياً ...... الذين قالوا : إن بديوان عنترة قصيدة تبين زواجه من عبلة بل تجعلها أما لأولاده .

وإذا أحببنا أن نتهم هذه القصيدة بالوضع فلن نعدم فى ذلك حجة ولا برهاناً فمعجمها اللفظى يخالف معجم عنترة الشعرى... كذا لم يخبرنا عنترة فى هذه لقصيدة بأن عبلة هى أم هؤلاء الأولاد الذين ذكروا بتلك القصيدة... لكن العجيب حقاً والغريب جداً أنه لا يوجد مصدر واحد بين المصادر الموثوق فيها تحدث عن حياة عنترة الشخصية من حيث الزوجة والأبناء وهذا ما يجعلنا فى حيرة شديدة فرجل مثل عنترة لم يكن هملاً حتى تتجافى حياته بهذا الشكل.

ثالثاً ...... الذين قالوا بأن عنترة قد أخذ حريته واعترف به أبوه فهو أحق بابنة عمه من غيره وهؤلاء قد رد عليهم أصحاب الاتجاه الثانى حيث قالوا :

إن عنترة لم ينل حريته إلا فى سن متأخرة وعبلة كانت تقاربه فى السن ومستحيل عليها أن تنتظر لتلك السن بدون زواج ــ هذا علاوة

على عدم اعتراف بعض سادات عبس بحريته.

رابعاً .... الذين قالوا : إنه ما كان أحد يجرؤ على طلب عبلة للزواج فى وجود عنترة ونقول لهؤلاء :

بل ما كان عنترة نفسه يجرؤ على طلب عبلة للزواج قبل أن يتحصل على حريته واعتراف أبيه، وهنا سنجد أن عبلة مثلها مثل أي فتاة يتقدم إليها من يريدها للزواج ويناسبها حسباً ونسباً . بل لقد وجد من طلب عبلة للزواج بعدما شاع أمر عنترة فيها وبعدما نال حريته وهو مسحل بن طراق الكندى وبذل فيها ما له وها هو عنترة يهدده ويتوعده فيقول :

أَمسحلُ دون ضمك والعناق ... طعان بالمثقفة الدقاق
وضربة فيصل من كف ليث ... كريمِ الجدِّ فاق على الرفاق
ودُون عبلةَ ضربٌ بالمواضى ... وطعنٌ فيه تكتملُ المآقى
أنا البطل الذى خُبِّرتِ عنه ... وذكرى شاعَ فى كل الافاق
إذا افتخرَ الجبانُ ببذلِ مالٍ ... ففخرى بالمضمرة العتاق

وليست هذه صورة فريدة فى حياة عنترة بل نجدها دوماً متكررة فى مواقف عدة وهى في حقيقتها تجسد شيئاً من طبيعة العرب فى حب المغامرة والتحدى فى عناد وإصرار.

خامساً ...... الذين قالوا : إن وجود عبلة بديوان عنترة بهذا الكم وهذه الكثرة لهو دليل أكيد على زواجه منها لأنه من المستحيل أن يتغزل عنترة ويشبب بامرأة متزوجة من غيره فليست هذه هى أخلاق عنترة.

والحقيقة أن أصحاب هذا الرأى قد نظروا إلى عنترة نظرة مثالية تبعد كثيراً عن حقيقته وواقعه وترفعه فوق بشريته إلى مصاف الملائكة الذين لا يخطئون مطلقاً.

بل إن هذا القول لهو دليل أكيد على عدم زواج عنترة من عبلة لأن من يتصفح ديوان وعنترة وقصائده وحديثه فى عبلة يتحسس لهيباً وشوقاً وحباً لم تنطفئ جذوة ناره بعد ومستحيل على رجل تزوج بامرأة أن تستمر روحه تجاهها بهذا الشوق وتلك اللوعة التى كان عليها قبل الزواج بها حتى ولو تضاعف الحب بينهما ـ وهو جد متضافع ـ مرات ومرات ـ فالشوق والألم والحرقة واللوعة ولهيب الوجد لم يعد لها مكان بينهما كما كانا سابقاً لأنه قد أصبحت ملك يديه فكيف يشكو ولا شكوى لديه، ولعمرى لقد صدق الشاعر حين قال :

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها فلما تلاقينا سكن الدهر

لكن للسائل أن يسأل وله الحق فى ذلك..

إذا كان عنترة مم يتزوج من عبلة وتزوجت هى بغيره فلماذا استمر غزله لها وتشبيبه بها طوال حياته على مدار ديوانه بلا انقطاع برغم زواجها من غيره؟!!

لقد قلت قبلاً أننى غير مطمئن مطلقاً أن أصدق أن عبلة قد بادلت عنترة حباً بحب... وحيث نلاحظ حب عنترة على مدار ديوانه كله نجده حبه ملتهباً فيه وجد وألم ولوعة وحنين لم ينطفئ بوصال، إنما هى وعود كاذبة وأمانى خادعة كذا فيه غضب ثورة وعناد على حبيب يتكبر عليه ويتيه دلاً متلاعباً به فى جفاء وقسوة وكأن الحب عنده أو عندها أن يمن على هذا العبد الأسود بكلمات ينعم عليه بسماعها

وحديث يحمد له أن ارتضى سماعه منه وإنا لنجد عنترة فى كثير من شعره يردد قوله لعبلة «سلى عنى» وكأن هذه الفتاة لا تدرى من أمره شيئاً ولعمرى إن محباً يستجدى الحب هكذا ممن يحب لهو دليل أكيد على عدم التواصل بينهما ولهو دليل أيضاً على عدم الثقة فى هذا الحبيب وذلك الحب

يا عبل دونك كل حى فاسئلى ... إن كان عندكِ شبهةٌ فى عنتر

سلى يا ابنةَ الأعمامِ عنى وقد أتتْ ... قبائلُ كلب من غنى وعامر

فقلت لها سلى الأبطالَ عنى ... إذا ما فرّ مرتاعُ القراع

سلى سيفى ورمحى عن قتال ... هما فى الحرب كانا لى رفاقاً

ولقد ألمحت قبلاً إلى أن عبلة لم تكن تلك الفتاة الساذجة التى تفضل حب عنترة على مقومات الحياة فى بيئتها القاسية :

دعينى أجدُّ إلي العلياءِ فى الطلب

وأبلغ الغايةَ القصوى من الرتب

لعل عبلة تضحى وهى راضيةٌ

على سوادى وتمحو صورةَ الغضب

إذا رأتْ سائرَ الساداتِ سائرةً

تزور شعرى بركن البيت فى رجب

يا عبل قومى انظرى فيعلى ولا تسلى

عنى الحسودَ الذى ينبيك بالكذب

واعتقادى أن حياة عبلة قد سارت بين عدد من الأزواج لا فى كنف زوج واحد فقط ــ وليس هذا بغريب على هذه البيئة التى عانت ما عانت فى جاهليتها مما يجعل هذا الأمر غير مستبعد ولا مكذوب خصوصاً وأن الحروب والأهوال كانت تأكل الرجال مثلما تأكل النار الحطب سريعاً سريعاً واعتقد أيضاً أن تعدد زواج العرب بلا حساب كان مرجعه لشئ من هذا قبل أن ينسب إلى مزاج العربى كذا كان لهذا الجانب دوره فى واقعية المرأة العربية وفى نظرتها للحياة وللرجل والحب أيضاً ــ بل أواصل ظنى لأقول إن عبلة قد تزوجت مرة قبل حصول عنترة على حريته وتزوجت أخرى بعد ما حصل على حريته وأخذ اعتراف أبيه وأصبح ابن عم لها حقيقة جديراً بطلبها للزواج بدون أية معوقات تمنعها من ذلك.

ففى المرة الأولى نجد عنترة يرثى لنفسه ويواسى عبلة ظناً منه أن كلا القلبين قد نالتهما طعنة واحدة من خنجر واحد فكان همه أن يخفف عن عبلة ــ بظنه ــ همها وبلواها. كما قال الشاعر :

وعزائى فى المصيبةِ أنّى يجمعنى والمصابين رثاءُ

وارتضى فى صبر جرحه وألمه متعللاً بأن غير ما كان ما يكون فما بيده ولا بيدها...

ودعنى أدخل معك إلى ديوان عنترة وأقرأ عليك أبياتاً من معلقته وأضبطها مخالفاً ضبط رواة الديوان وشارحيه لأنهم قد فصلوا هذه الأبيات عن المعلقة بما ذهبوا إليه من ضبط وشرح وكان الحديث عن امرأة أخرى غير عبلة وهذا ما قالوه وهو جد عجيب.... فالمعلقة لم

تكتب فى يوم أو شهر بل هى تحمل خطاً زمنياً طويلاً نوعاً ما فتحمل من الأحـداث أحداثاً متـلاحقـة ومتـباعـدة مما جعلهـا دوناً عن باقي المعلقات كثيـرة الأغراض بصورة ملفتة للنظر وغير طبيـعية وإذا كانت عبلة فى بدايتها آنسة فلقد تزوجـت خلال أحداثها حيث أطلعنا عنترة على حديث زواجها وموقفه منه فى وضوح وبلا خفاء.

وإنى أرى ـ جازماً ـ أن المعلقـة بالنسبة للشاعـر الجاهلى هى بطاقة هوية وتاريخ شخصى وقبلى يسجل مدوناً فيه أهم الأحداث والمواقف التى مرت به على مدار حياته وخبرته فيها وليس المدح هو المقوم إليها والدافع لها فلقد وجد فى أبيات قليلة فى بعض القصائد تلقى للممدوح على أى وجـه ومن أجل ذلك لم يكن لأى شـاعر أكـثـر من معلقـة واحدة فقط يجسد فيها حياته ومواقفه وما مر به من أحداث كما يشاء رسمـها، وكان طبيـعياً بعد ذلك أن تتـعدد أغراضهـا وتتكرر وما هو بتكرار بل تتابع وتواصل أحداث مرت بالشاعـر ومر بها فيرصدها فى مكانها الذى يرتئيه لها ولابد ألا ننسى أن عدم وجود التدوين فى ذلك الحين جعل أحـداث المعلقات وأفكـارها مضطربة ومـختلفة حـتى يتم اكتمالها وتمامها فتستقر على الصورة التى كتبت عليه لكن بعدما تكون قد تجسدت لها عدة، روايات مختلفة فى أذهان وعقول الرواه :

يا شـاةُ ما قنـصُ لمن حـلت لـه   حَرُمَتْ عليَّ وليـتـهـا لم تحرم

فبعثتُ جاريتى فقلتُ لها اذهبى   فتحسسى اخبـارَهـا لـى واعلمى

قـالت رأيتُ من الأعـادى غِـرَّة   رشـإ من الـغـزلان حـراً أرثـم

ولقد خـالفتُ نسخ الديوان فى ضـبط وتشكيل البيت الأول حـيث

شاه ــ عندنا ــ نكرة مقصودة بنيت على الضم وما نافيه أما رواية الديوان فتضبطها هكذا .

يا شاةَ ما قنصٍ لمن حلتْ له حرمت على وليتها لم تحرم

أى شاة هنا منادى مضاف «يا شاة قنص» وما موصولة والكلام عندهم على معنى التعجب . . . . . ولعمرى إذا كان الاختلاف يرد فى الأبيات والأشطر والكلمات أفلا يرد سهلاً فى الضبط والتشكيل؟!

وعلى هذا نقنع ونرى أن معنى البيت أن عنترة يقنع أن عبلة لم تعد حقه الذى يسعى إليه فلا يجوز ولا يحق له قنصها لأنهاحلت لغيره وحرمت عليه بزواجها من غيره وهو يكتفى أن يتحسس أخبارها ليطمئن عليها.

والنداء هنا المقصود به عبلة لا غيرها والبيت فيه التفات يوضح حال عنترة أمام هذه المصيبة التى زلزلت حياته وهدت كيانه.

وإن كان الحديث عن امرأة أخرى ــ كما أجمع على ذلك شارحى ديوان عنترة ــ فما الداعى وما سر ذكر عمرو أخيها وعمه : أبيها عقب هذا الحديث مباشرة إلا أن يكون عتاباً ولوم لهما بأن زواج عبلة قد تم بإرغام منهما .

نبئتُ عمراً غير شاكر نعمتى

والكفر مَخْبَثَةٌ لنفس المنعم

ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى

إذا تقلص الشفتان عن وضح الفم

ثم واصل سيرك فى المعلقة حتى تصل لقول عنترة :

إنـى عـدانـى أن أزورَكَ فاعلمى

ما قد علمتِ وبعض ما لم تعلمى

حـالت رمـاحُ بنـى بغـيـضٍ دونكم

وزوت جوانى الحرب من لم يجرم

فوحـد هذه الأبيات معاً ـ برغم تفـرقها بالمعلقـة ـ ستجد حـديثاً واحداً والمعنى متتابعاً فى سـلاسة وترابط، فعبلة قد تزوجت وصارت محرمة عليـه لأنها لغيره وهو يعلم ذلك جيداً لكن ماذا يفـعل وحبها مازال مـشتعـلاً فى قلبه؟ فـأرسل إليها من يعـرف له حالهـا ليطمئن عليهـا . . لكن الرسول الذى أرسله جاءه برسالة لوم وشـماتة ـ وهى امرأة محنكة ماهرة تعلم من المرأة ما يخفى على الرجل ـ ما عبلة إلا امرأة تعيش حـياتها مع زوج أرادها وأرادته وكأن عنتـرة ما كان ـ فى يوم ما ـ هوىً لـتلك المرأة . . . . لكن برغم ذلك فعنتـرة يحاول أن يلتمس لها العذر معزياً نفسـه ومخادعها ـ بأن أخاها وأباها سبب كل هذا ، ثم انظر إلى التعـريض هنا فى قوله : ما قـد علمت وبعض ما لم تعلمى ، فتشعر فيه بلوم عنترة لها. . . . هذا هو زواج عبلة الأول وموقف عنترة منه ولقد تم أثناء عبـوديته ولم يقلع عن قول الشعر فى عبلة لفـرط حبه لها وإنما قـد صار شعره فى هذه الفـترة شكوى وألم وحنين لذكرى جـميلة وهو يحـمل ثورة على قومه وعـمه وعبـوديته لضياع هذا الحب.

أما زواج عبلة الثانى والحديث عنه فلا يـنبغى أن يتفلت من مقدمة

شعرية من ديوان عنترة تجعلك تلمس كيف تم هذا الزواج ومن هم أطرافه ودور كل طرف فيه كيف كان؟ وعليك أن تخرج بنتيجة ونتائج لا أحصيها لك الآن لكن ستعلم علم يقين أن هناك خديعة قد تمت بصورة ما كي يتم هذا الزواج وقد تم.

لأي حبيب يحْسُن الرأيُ والود ... وأكثرُ هذا الناسِ ليس لهم عهد

وإنْ عشتُ من بعد الفراقِ فما أنا ... كما أدعى أنى بعبلة مغرم

ترى علمتْ عبيلةُ ما الآقي ... من الأهوال فى أرض العراق

طغانى بالريا والمكرِ عمى ... وجارَ على فى طلب الصداق

فخضت بمهجتي بحر المنايا ... وسرت إلى العراق بلا رفاق

سقى الله عمى من يد المنون جرعة

وشلت يداه بعد قطع الأصابع

كما قادَ مثلى بالمحالِ إلى الردى

وعلق آمالى بذيل المطامع

لقد ودعتنى عبلةُ يومَ بينها

وداعَ يقين أننى غيرُ راجع

وناحتْ وقالتْ كيفَ تصبحُ بعدنا

إذا غبت عنا فى القفار الشواسع

وحقك لا حاولت فى الدهر سلوة

ولا غيرتنى عن هواك مطامعى

فكن واثقاً منى بحسن مـــودة　　　وعشْ ناعماً فى غبطة غيرَ جازع
إذا جـحـد الجمـيـلَ بنو قرادٍ　　　وجـازى بالــقـبـيــح بـنـو زياد
فـهـم سادات عبس أين حلوا　　　كما زعمـــوا وفرسـان البــلاد
ولا عـيـب عـلـى ولا مـــلام　　　إذا أصـلـحـت حالـى بالفسـاد

لقد حصل عنترة على حريته واعتراف أبيه فأصبح جديراً بأن يطلب ابنة عمـه التى أحبها للزواج، ولم تعـد هناك حجة لمعتـرض ولم يعد هناك مفر لهارب أمام هذا العنيد الذى هو على استعداد أن يلقى بنفسه فى المهالك من أجل ابنة عـمه التى شعرت بأن الحصـار قد بدأ يضيق عليها وأن لحظة المواجهة قد دنت وحـان وقتها، وإذا كانت قد نجحت قبـلاً ــ فى تمثيل دور المرغمـة المقهـورة على أمرها فى شأن زواجـها الأول فالآن ما عاد يجدى تمثيل هذا الدور مرة ثانية خصوصاً وأن هذا العبد قد أصبح قوة يرهبـها القاصى والدانى وأصبح له أنصار عديدون فالرفض معناه الوقوف فى وجه الخطر. . لكن مـا العمل؟ كيف سيتم الخلاص من عنترة هذه المرة؟

إن رفض الزواج من عنترة الآن معناه كشف خداعها له وتلاعبها به طوال سنين مـرت لكن الموت أهـون عندها من الزواج بهـذا العبـد الأسود. . . أما أبوها فقد علم حالها وأشفق على حيرتها وهى حيرته فى ذات الوقت إذ كيف يرتضي بزواج ابنته من ذاك الـعبد الأسود ابن زبيبة الأمة التى خدمت فى دورهم؟

ينادوننى فى السلم يا ابنَ زبيبة
وعند صدامِ الخيلِ يا ابن الأطـايـب

وما اعتـراف شداد به ــ فى رأيهم ــ إلا من خبل الهـرم وتخاريف الشـيخـوخة ومن هنا بحث مـالك عن مـخرج ليـتخلص من عنتـرة ولسوف يغالى فى صـداق عبلة حتى يعجز عنتره وهنا فـلا ملام عليه وإذا أصر معانداً فلسوف يلقى به عناده إلى التهلكة.

ولست أستبـعد أن يكون مهر عبلـة من نوق العراق العصافيـر كما تسمى ولست أستبعد أيضاً أن يكون ما طلب منه عدداً كبيراً مبالغاً فيه وليس فى هذا أية مبـالغة فى موقف مـثل هذا فالنيـاق هنا ليست هى المطلوبة لذاتهـا وليـست هى تقـديراً لعبـلة بل المطلوب عـجز عنتـرة وتدميره نفسـياً، فكيف سيأتى بها وهو لا يمتلك ثمنهـا وكيف سيأتى بها وهى لا توجد إلا بأرض العراق ولا يمتلكها من العرب إلا الأثرياء وعلى قلة وكـيف يذهب إلى هناك فى طريق يملؤه الأعـداء الموتورون من هذا الفارس وإن نجـا منهم فلن ينجو من ظـمأ الصحـراء وخداع دروبها والسـراب؟ وعلى الرغم من أن قصائد الديوان توحى بموافـقة عنترة وقبوله التحدى للفوز بعبلة وذهابة للعراق ليأتى بصداقها..

فـقـلـت لها يا عبل إنى مسافرٌ ... وسرت إلى العراقِ بلا رفاق

وسقتُ النوقَ والرعيان حولى ... وعدتُ أجد من نار اشـتياقى

إلا أنني لست بمطمئن إلى موافقة عنترة على هذا المهر وسعيه حقيقة لاستـخلاص النوق وسلبها من أرض الـعراق ليأتى بها إلى عـمه لأن الموافقة على هذا معناه اتهام عنتـرة بالحمق والغفلة، ولو كان الموضوع موضوع استـلاب النوق لأغار عنترة على أية قبيلة ليـسلب نوقها بدلاً من الذهاب منفرداً إلى العراق.. ومن هنا فما نرتضيه ونوافق عليه فى مسـألة مهر عبلة أن صـداقها كـان فوق قدرة عنترة وهمـته وهذا لأن

العرب كانت تأنف أن يكون صداق الحرة سلباً واغتصاباً.

طغاني بالريا والمكر عمى وجار على فى طلب الصداق

نقول هذا الكلام لأن حياة العرب فى العصر الجاهلى كانت تقوم على السلب والنهب وإلا لكان سهلاً على عنترة أن يأتى بمهر عبلة بلا حرج ولا مشقة ولكنه تيقن من خداع عمه وتيقن من خداع عبلة ومشاركتها الرأى لأبيها والموافقة علي ما ذهب إليه فى أمر صداقها وتأكد من أن هذه المرأة تلاعبت به دهراً طويلاً تستغفله بلا حياء وتستغله بغير رحمة فكان جزاء وفاؤه خيانة وغدراً وجزاء حبه جحوداً ونكراناً. . .

لكن ما موقف عنترة بعد كل هذا؟ إنه قد اعتبر حب عبلة والزواج بها قريناً لحريته وخاض صراعاً من أجل عبلة لكن لم يتوقع مطلقاً أن يكون الصراع مع عبلة!!

ترى أيقبل عنترة بهزيمته ويرتضى التسليم أم يخوض معها هذا الصراع ويثأر لكرامته ورجولته؟ إن الحب قد ضاع والحبيب قد غدر والنفس عافت وملت هذا الضلال فماذا بقى ليخدع نفسه مرة أخرى؟

لكن ــ وعلى كل حال ــ ليست شخصية عنترة بالسهولة واللين بحيث تتقبل الواقع على أى وضع وتنصاع للعرف وتحاذيه فى رضا وقناعة بل هو شخصية عنيدة وتسلح هذا العناد بذكاء حاد وإصرار ثابت وتمرس على أن يذيق عدوه مرارة الهزيمة ذلاً ويحول مكامن وأسرار قوته إلى نقاط ضعف قبل أن يتركه للموت حتى تفترسه الحسرة ويمزقه الندم فيهجره الأمل إلا من جانب عنترة ليتضاعف ذله

إليه . وعدو عنترة هنا قد تسلح بالحب الذى يقده به - أو هكذا ظن - لأنه لابد من المواجهة لكن كيف؟

لقد انقلب حب عنترة لعبلة فتحول إلى حب انتقامى لا يبتغى فيه الحبيب وصالاً بقدر ما يبتغى الثأر لحبه الذى تلاعبت به تلك الفتاة ولمجده الذى لطخته بعار الهزيمة من أجل خصم لن يرق إلى مكانته ومجده فهو سربل الأبطال رداء الموت وخاض بحر المنايا بجسارة حتى طبع الموت صورته فى صورته.

لقد استمر عنترة يقول الشعر فى عبلة متغزلاً ومشبباً بها لا طمعاً فى لقاء ووصال بل ليزلزل حياتها بما يرسمه من أحاديث صفو ليذيق زوجها وأباها ويذيقها قسوة الانتقام.

كاعب ريقُها ألذُّ من الشهدِ   إذا ما زجته بنتُ الكروم
كلما ذقتُ بارداً من لماها   خلته فى فمى كنار الجحيم

وهو فى ذات الوقت يجدد ثورته على زوج عبلة وأبيها بسخرية واستهزاء

سقى الله عمى من يدى المنون جرعة
وشلت يداه بعد قطع الأصابع

يا بينُ روعتَ قلبى بالفراق وما   أبكى لفرقةِ أصحابٍ ولا طلل
بل من فراق التى فى جفنها سقم   قد زادني عللاً منه على عللى
لا تصرمينى يا عبيل وراجعى   فى البصيرة نظرة المتأمل
فلرب أملح منك دِلاً فاعلمى   وأقرُّ فى الدنيا لعين المتجلى

وصلت حبالى بالذى أنا أهله		من ودها وأنا رخى المطول
يا عبل كَمْ من غمرةٍ باشرتُها		بالنفس ما كادتْ لعمْرُكِ تنجلى
فيها لوامعُ لو شهدت زهاءَها		لسلوت بعد تخضب وتكمل
أما ترينى قد نحلتُ ومن يكن		غرضاً لأطرافِ الأسنةِ ينحل
فلربَّ أبلج مثل بعلك بادنٍ		ضخمٍ على ظهر الجواد مهبل
غادرته متعفراً أوصاله		والقوم بين مجرح ومجدل

واعتقادى – أخيراً – أن عبلة لم تكن تلك المرأة الناعمة الهادئة التى تستكين فى بيت زوجها فى طاعة سمحة وهدوء لين ، بل كان فيها شراسة طبع وكبر يدفع من يقربها للنفور منها ولقد انتهت حياتها بالطلاق فى الغالب – كما حدثنا فى ذلك عنترة . . . .

صحا من بعد سكرته فؤادى		وعاود مقلتى طيب الرقاد
وأصبح من يعاندنى ذليلاً		كثير الهم لا يفديه فادى
يرى فى نومه فتكات سيفى		فيشكو ما يراه إلى الوساد
ألا يا عبل قد عاينت فعلى		وبان لك الضلالُ من الرشاد
وإن أبصرت مثلى فاهجرينى		ولا يلحقك عار من سوادى
وإلا فاذكرى طعنى وضربى		إذا ما لج قومك فى بعادى

* * *

الفصل الثامن

الشاعر

ورجعتُ عنهم لم يكن قصدى سوى
ذكرٌ يدومُ إلى أوانِ المحشر

إن النبوغ فى العصر الجاهلى ما كان له إلا مجالات ضيقة لا يدخلها إلا رجال قد خلقوا لها بحق الفطرة الصادقة والعقل الواعى والموهبة المتفردة وغير ذلك ما كان يعتد به أو يؤبه له أو يقدر له فى عقد الخالدين مجال وخصوصاً فى هذه البيئة القاسية والتاريخ خير شاهد على ذلك، وهذه المجالات التى يؤهل لها النابغون تكاد تكون محصورة فى الفروسية والشعر وأعنى بالفروسية هنا البطولة والإقدام فى خوضع المعارك وهى صفات تتوالد من صفات وعنها تتوالد صفات قبل أن تكون هى مجالات النبوغ والتمييز حيث هى فى مجملها صفات ملتصقة بطبع الإنسان ونفسه قبل أن تحسب للعقل وهى أخيراً صفات توحى وتدفع لإنكار الذات قبل أن تدفع لإيثار الذات، وهذا هو مناط صدقها وتصديقها.

وقد يكون هذا النبوغ فى اختصاصه للرجل دون المرأة مهماً فى تشكيل إيجابية الرجل فى هذا المجتمع وضعف دور المرأة وسلبيتها للولوج إلى تلك الحياة المضطربة وإذا اعتذرت المرأة عن الفروسية

بطبيعة تكوينها الخلقى والخُلُقى فبماذا ستعتذر عن الشعر وهو عاطفة رقيقة ومشاعر وأحاسيس جميلة؟!.

وإذا أردنا البحث فى شعر الشاعر ـ أى شاعر ـ علينا ألا نقتحم مجالات لن يفيدنا اقتحامها إلا ضياع الوقت والجهد ، ولقد رأيت من الأدباء من يسأل : لماذا قال عنترة الشعر؟ وهو سؤال يكفينا جواباً عليه أن نقول : لأنه شاعر . . . وهى إجابة تحمل معناها فى داخلها بدون أن نبحث فيها عن معنى لا يجسد حقيقة الرد على هذا السؤال أو يكون الجواب الشافى له. . . لكن يستمر السائل ليجيب عن سؤاله قائلاً: إن العبودية هى العامل الأكبر فى شعر عنترة خلق شاعريته ! ويرد آخر فيقول : بل إن حب عبلة كان الدافع الأول والأهم! والثالث يقول : بل حب الحرية وفهم قيمتها هو أهم الدوافع فى هذا! ولولا هذه الدوافع ما كان عنترة فارساً ولا شاعراًولعمرى إن العجب ليأتى من هنا ومن قال نسى أو تناسى أن غالبية الشعراء لم يكونوا عبيداً بل العبيد فيهم قلة نادرة لا تذكر. وما بحثوا عن الحرية ـ بهذا الشكل الذى بحث فيه عنترة . . . . الكثير منهم لم يكن الحب والبحث عن الحرية هى أسباب قول الشعر ولطالبنا كل عبيد الدنيا ومحبيها بدواوين من الشعر، إن العبودية وحب عبلة والبحث عن الحرية هى انطباعات في شعر عنترة أو قل هى دلائل لمعانى خاصة عند عنترة وجهت هذا الشعر ووظفته لأغراض معينة.

إن الشاعر يولد شاعراً سواء كان عبداً أو حراً أحب أو كره قال الشعر أم لم يقله فالشعر موهبة فطرية موجودة فى صاحبها تولد معه وتنمو معه وهناك من يعتنى بها حتى تنفجر بقوة وسلام وهناك من

يهملها حتى تموت بلا اهتمام، وفى الشعر العربى نكاد نلمس مشكلة حقيقية ألا وهى عدم تأريخ قصائد الشعر وترتيبها زمنياً وهى مشكلة جد ظريفة إذ ترتب عليها التيه فى بحار حياة الشاعر حتى تجعلنا نقلب الحقائق إلى أوهام والأوهام إلى حقائق لنبحث فيها ونتعلل لها، وهى مشكلة إذا كان الشاعر الجاهلى يعذر فيها لعدم شيوع التدوين فى عصره إلا أن الشعراء من بعدهم قد تبنوها سنة ومنهاجاً يسيرون عليها حتى إن العصر الحديث بما حوى من دوريات متأرخة لم يفلح ولم تفلح معه فى تأريخ شعر أكبر الشعراء فلاحاً تاماً حيث وجدنا الساقط الذى لم ينشر وما حجبه الشعراء أنفسهم لسبب ما. واعتقادى الخاص أن هذا فى صالح الشعر لا ضده ولا ضد صاحبه فالغموض يزيد المعنى معناً وخصوصاً فى الشعر ولهذا فالشاعر الذى يجرؤ على شرح شعره يقتله.

هذه مقدمة أحببنا الخوض فيها قبل البحث فى شعر عنترة وشاعريته.

ولنبدأ حديثنا فنقول: ما الدافع الذى دفع عنترة لقول الشعر، أو ما الموقف الذى تحركت فيه شاعريته وفى معنى هذا ما أول شعر ورد عن عنترة ؟

ومنه نعرف طبيعة الموقف .

والحقيقة لو أن كل شاعر احتفظ لنا بأول شعر قاله لخرجنا بأسباب كثيرة تدفع لقول الشعر واعتبرناها مسلمات، لكن خيراً فعل الشعراء حين تلاهوا عن تلك البدايات وفى عنترة رواة الأدب ومؤرخين لم يتركوا لنا الأمر هكذا بل جاءونا برواية تحدثنا عن تلك البدايات فى

شعره متى وكيف قال الشاعر؟

وحين ننظر إليهـا ننظر إليها لا على أنها إجابة علـى سؤالنا السابق بل ننظر إلى ما فيها من دلالة ومعنى لأن قناعتنا بها فيما تدل عليه لا فيما تقول. . .

يقول صـاحب الأغانى : إن رجلاً من بنى عبس سب عنتـرة وذكر سواده وأمه وأخـوته فسبه عنترة وفـخر عليه وكان فيـما قال له : إنى لأحضر البأس وأفى المـغنم وأعف عن المسألة وأجود بما ملكت يدى، فما حضرت أنت ولا أحد من أهل بيتك لحظة فصل. فقال له الرجل أنا أشعر منك . فقال له عنترة: سـتعلم ذاك. . فقال المعلقة وهى أول كلمة أى شعر ـ قاله.

والحقيقة أن قوله لعنترة : أنا أشعر منك لهو دليل على أن عنترة قد عرف الشعـر عنه حتى يشعر ويتـشعر عليه الرجل مـفاخراً وهو دليل أيضاً ينفى ـــ بلا شك ـــ أن تكون المعلقة هى أول شـعر عنترة، ولقد أحسن صاحب الأغانى وصاحب الشعر والشعراء حين علقا على هذه الرواية قائلين: كـان يقول قبلها البـيت والبيتين وكثـرة المقطوعات فى شعر عنترة سمة لا تنكر .

وإذا جئنا بشعر المعلقات والحديث عنها ينبغى أن نسأل عنها هل هى أجود شعر الشـاعر بحيث لا نتعب أنفسنا وراء البحث عن شـعر جيد لشعراء الجاهلية غير المعلقات ؟

أما كـون المعلقة هى أجود شـعر الشـاعر فهـذا ما لا نؤمن به ولا نرتضيـه، فالمعلقة شعـر جيد بلا شك فى هذا لكن لكل شـاعر أجود

منها ــ أو قل أجيد منها ــ وإلا لتوقف الشعراء أصحاب المعلقات عن قول الشعر بعد تعليق قصائدهم ، أيضاً الملاحظ أن كل شاعر من أصحاب المعلقات له معلقة واحدة فقط. . فما سر ذلك؟ ولماذا واحدة فقط؟ وهذا سؤال جوهرى لن يجاب عنه إلا حينما نعثر علي سر تعليق المعلقات فمستحيل أن تكون الجودة هى السبب الأول فالجيد كثير بل قد يكون أجود من المعلقة وحتى لو كان الدافع وراء التعليق هو العصبية فما هو بدافع متكامل أو مقبول تماماً إلا أن هذه المعلاقات كانت لها بصمة خاصة لتخلد أحداثاً بعينها مرت بحياة الشاعر أو قبيلته أو قل بحياة المجتمع العربى فسجلتها تلك المعلقات بصدق وساعدت العصبية على تعليقها واعتقادى أن هناك قصائد لم تعلق بسبب العصبية ــ وهى جيدة ــ وكان هذا سبب ضياعها وافتقادها ولقد صدق من قال الشعر ديوان العرب فلقد حمل الشعر التاريخ كما حمل التاريخ الشعر.

ليكن حديثنا الآن عن عنترة الشاعر. . .ماذا يمثل الشعر له وماذا يمثل هو للشعر؟

والقول ماذا يمثل هو للشعر معناه أن الشعر يرقى بشاعرية أى شاعر وما من بيت شعر ظهر فى العربية إلا وكان له مكانه الذى لن يعوضه شاعر آخر مهما تواردت الخواطر واتفقت العقول والنفوس، وديوان عنترة فى الشعر العربى ديوان متكامل ومكتمل من جوانبه الفنية والنفسية التى تبرز لنا روح الشاعر جلياً وهو فى مكانه الذى لا يختلف عليه اثنان من قراء العربية.

أما ماذا يمثل الشعر له؟ فالحقيـقة الكثير ولسنا مبالغين حين نقول لو لم تكن شاعرية عنترة لما عـرفنا شيئاً عن فروسيتـه وبطولته وما ينبغى هنا أن أقوله أن عنترة قد وظف شعره جيداً لرصـد حياته توظيفاً دقيقاً مما جعل له الخلود فى عـالِم الشعر والبطولة فكم من شاعـر قد أغفل ديوانه على مـر الزمان أو ضـاع شـعره من بين أفـواه الرواه وكم من فارس قـد حاربه النسيـان وتخطاه الخلود فأسر فى سـجن الفناء تائهاً ضائعاً يبحث عنه المؤرخون بمعاول الشك والريبة فإن وجدوه لم يجدوا معه مـا يستره فى عالم البـقاء والخلود فيعـيدونه فى قبر النـسيان فى حسرة وألم متأسفين على ما ضاع من وقتهم معه.

أما عنترة فدعنى أقول أنه أول صاحب سيرة ذاتية فى الأدب العربى ولقد نجح حقـاً فى أن يرسم صورة متكاملة الملامح ظاهرة التعـبيرات متـتابعة الخطوط والمعـانى عن حياته كمـا عاشهـا، والبحث فى هذه الصورة ينبـغى أن يتم عبر منافـذ معينة أهمـها البحث فى خـصائص شعره وطبيعته ويجب أن ننبه هنا إلى أننا نبحث عن الشاعر أما الشعر فمجاله واسع عند رجال الأدب ونقده.

خصائص شعر عنترة ... وطبيعته :

أولاً : سهولة شعر عنترة : ـ

حتى أن كثيراً من الأدباء قـد لاحق شعر عنترة من هذا الجانب دون غيـره، فكيف يكون عنترة شـاعراً جاهليـاً وشعره بهـذه الرقة وتلك السهـولة؟!، فلا هذا الشـعر شعـره ولا هو من موروث ذاك العـصر الجـاهلى، وبدون أن نزعج القـارئ نقـول إن ديوان عنترة لـه بصمـة

خاصة به ولشعره ميسم خاص حتى لتكاد تشعر ــ حقاً ــ أن قائله من غير هذا العصـر الذى احتفى شعراؤه بفخـامة وجزالة اللفظ وإنك لا تتواصل معهم إلا وبين يديك معجم العربية تسترشد به عما غمض منه وهو كثيـر. لكن وقبل أن ننفى هذا الشعر عن عنتـرة علينا أن نبحث فيه فإنا لو رفضناه للسهولة ما بقى من عنترة شيئاً يفصح عنه، كذا إن كانت سهولة الشعر هى منهجنا للرفض - وبدون زن نتعلل لها - نكون قد خاطرنا ببحثنا هذا وهدمناه بلا أدلة يقينية تقتضينا لهذا الهدم وعلى هذا يجب وينبغى أن نبحث فى سهولة شعر عنترة ما أسبابها؟

الملاحظ على شـعر عنترة أن فـيه نمطاً من المخـالفة لشـعر العـصر الجاهلى - معظمه - حتى أن كثيراً من رجال الأدب قد شكك فيه لهذا الطابع - ولقد كـان دافع الدكتور طه حـسين - فى يوم ما - إلى رفض كثيـر من شعر هذا العصـر هو هذه السهولة التى لا تتواءم مع طبـيعة ذلك العصر وحـياة العرب آنذاك وفى رأينا أن الدكتـور طه حسين قد قرأ هذا الشعر من جانب دون جانب فـما يصدق على شاعر لا ينطبق على كل شـاعر عـلاوة على أنه قـد دخل إليـه بفكر مـشحـون بآراء استشراقية - تراجع عن كثـير منها - بعد ذلك - لكن يعجبنا فى الرجل جرأته وشدة بيانه فهو مـثل الجندى الذى وكل بمهمة خاصة من جانب خاص لا يحق له أن يتطرق لغـيرها ولا يعنينا هنا أن يكون الرجل من جنودنا أم من جنود غـيـرنا طالما نحن مـا زلنا فى حـدود الكلام عن الأدب لم نتجاوزه إلى غمز شئ من الدين وجرأة الرجل نحن نحمدها له بل نحسده عليها غيـر أن تطاوله على الدين والعقدية قد دفع الكثير ليردَّه عن كل حوض يَرِدَه، ولعمرى إن الرجل لفى حاجة إلى أن يقرأ

و يقرأ فهذا طريق لم يبتدعه طه حسين ولا المستشرقون بل ضرب فيه نقادنا القدامى بسهم على اختلاف في المبدأ والمنهج والرجل إن حمل غثاً فقد حمل ثميناً فى هذا الموضوع بالذات ومن هنا فهذه المخالفة التى هى سهولة شعر عنترة هى وليدة عدة عوامل منها عدم استقرار قبيلة بنى عبس وكثرة انتقالها من مكان لآخر وعلى فترات زمنية قصيرة ومتقاربة لعامل الحروب أولاً ولعامل القحط والجدب ثانياً فجابت معظم أنحاء شبه الجزيرة وتداخلت مع معظم قبائلها حرباً وسلماً وهذا العامل وحده كان كافياً لترقيق لهجتها وجعلها سهلة غير جامدة تتشرب من لهجات القبائل التى تداخلت معها والدليل على ذلك أنك تجد طابع السهولة والرقة فى كثير من شعر بنى عبس، ومن جانب آخر فلا ننسى أن سهولة شعر عنترة لها أسباب خاصة به منها رقة طبعه وصفاء نفسه كذا طبيعة موضوعات شعره ستجد معظمها عن الحرية والحرب الغزل ووصف المعارك وهى موضوعات خفيفة تحتاج المباشرة والوضوح بعيداً عن فلسفة الحياة وتعقيدها وسبب هذا أيضاً أن عنترة كان صاحب قضية يبحث لها عن أنصار يفهمونها فى يسر وسهولة ليكتسب تأييدهم .

ثانياً .... ذاتية شعر عنترة

لست أريد أن أجزم فأقول لن تجد ديواناً يجسد لنا صاحبه مثلما جسد ديوان عنترة «عنترة» وإن كنت مطمئناً بينى وبين نفسى إلى هذا، فالفرق بين عنترة وأى شاعر آخر أن ديوان عنترة هو سيرة ذاتية وتسجيل دقيق لحياته، فالشعر فيه هو الشاعر لم ينفصل عنه لحظة من لحظات الشعر، فهناك من الشعراء من يريك نفسه فى شعره ومنهم من

يجعلك تبحث عنه، واعتقادى أن صاحبنا يريك نفسه من كل جانب حتى لا تختلف مع نفسك فى شئ عليه وقد يكون لهذا دافع فى نفس عنترة من مواجهة سادات قبيلته وتحديهم بأنه قادر على تخليد اسمه أما هم فسرعان ما سيطويهم الموت فى ذاكرة النسيان علاوة على أن عنترة كان يعرف أن بطولته ما كانت ستخلد على لسان شاعر من عبس مطلقاً فالحر لن يفخر بالعبد. لذا فقد أسرف عنترة فى الحديث عن نفسه فى شعره.

ثالثاً .... واقعية شعر عنترة

إن عنترة شاعر الموقف يحركه ويوجهه فيأتي شعره مرتجلاً سهلاً، ولذا فقد تعلق شعره بالوصف الحسى لبيئته التى يعيش فيها وحياته التى يحياها ولقد جسد الواقع الذى عاشه تماماً وجسد واقع قبيلته بكل صدق ولقد كانت هناك دوافع قدمت واقعيته هذه وأبرزتها منها عبوديته فالعبد حين يكذب ويسرح مع الخيال سيجد سخرية سادته وتقريعهم له لذا فلقد حرص عنترة على أن يكون صادقاً فى شعره إلى أقصى حد ولقد انطبع هذا الصدق فى صوره أيضاً حيث ارتبطت ونبعت من البيئة التي عاش فيها فإما أن تكون صورة حقيقية أو منقولة عن صورة حقيقية وأصدق وأتم تمثيل لذلك هو وصف المعارك والقتال فى شعره، فكأنك تشاهد معركة حقيقية أو شريطاً سنيمائياً يعرض لك أحداثاً طبيعية وواقعية متتابعة مرتبط بعضها ببعض بلا تكلف وكأن صاحبها لم يدخل المعركة ليحارب بل ليصور لنا تلك الأحداث.

رابعاً .... كثرة المقطوعات فى شعر عنترة

إن مـا نتج عن هذه المقطوعـات أن كانت دافـعـاً لوحدة أغـراض القصيدة عند عنتـرة وهى فى ذاتها تعبير صادق عن طبيـعة الحياة التى عاشها وهى دلالة أخرى على أن شعر عنترة معظمه مرتجل وليد موقفه وهذا مناط صـدقـه ودافـعـه لتكرار بعض القـصـائد عـلاوة على أن المقطوعات الصغيرة كانت أسهل فى الحفظ والانتشار على ألسنة الرواة وهذا ما كان يهدف إليه عنترة أن ينتشر صيته فيرهبه فرسان العرب.

خامساً .... روح الثورة فى شعر عنترة

من يطالع ديوان عنترة لا يخطئ فيه روح الثورة فنفسه ثائرة فى كل موقف مـتقلبة أمام كل فـعل وهذه الروح لها أسبابهـا من الصراع مع قومه مـن أجل حريته ومن صراعـه مع الأبطال في المعارك وهى روح ولا تظهرها مواقف الغضب وحدها بل نراها حين يتغزل وحين يصف ويفخر ويهـجو وقد يكون سبب هذا أن هجاء عنترة قـد ارتبط بالفخر أما الغـزل فهو صـراع من نوع آخر مع العبـودية التى تحاول أن تحطم الجمال فى عينيه.

وإذا كان حديث آخر عن الشعر والشـاعر فنقول : لقد عرف عنترة كيف يـتواصل مع شعـره ليواصل صـراعه مع قـومه ومع الحـياة من حوله، وهو إذ أدرك ذلك الصراع ووعاه جيداً فقد حرص برغم صدقه وواقعيـته أن يبدو متجلداً فى جـميع مواقفـه ويبدو أن سبب هذا هو قناعته بأن قيمة النصر فى هذا الصراع ليس فى اعتراف قومه بحريته أو بزواجه من عبلة أوفى تحـصيل سيادة على قومـه لكن في اطمئنانه هو لهذا النصـر والفوز بينه وبين نفســه أولاً وآخراً لذا فلقد حوى شـعره

فلسفته فى الحياة وحكمته فيها وأن قيمة الإنسان فى نفعه وحياته مرهونة بهذا النفع ولهذا فلقد آثر عنترة عدم التصعلك ورفض الصعلكة ومغرياتها مع توافر جميع مقوماتها له - والبقاء فى بنى عبس يدافع عنهم ويحمى حماهم برغم ما يجده من سفاهتهم.

وليسَ بفخرٍ وصف بأسِى وشدتى

وقدشاعَ ذكرى فى جميعِ المعامع

عنترة أول ثائر على الأطلال :-

وإذا أردنا أن نقول كلمة للأدب وللتاريخ الأدبى فعنترة هو صاحب أول ثورة على الأطلال فى الشعر العربى وليس أبو نواس. فلقد سبقه بقرون فى اتجاهين :

الأول .... أنه أنشأ قصائد عديدة بدون مقدمات طللية وقد يكون سابقه فى هذا عمرو بن كلثوم فى معلقته.

الثانى .... إنه صاحب أول ثورة لفظية على البكاء والوقوف على الأطلال بصورة مباشرة فى عدة مواضع من شعره حيث قال :

يا صاحِبى لا تبك ربعاً قد خلا ... ودعْ المنازلَ تشتكى طولَ البلى

واشكو إلى حدِ الحسام فإنه ... أمضى إذا حق اللقاءُ وأفضلا

من أين تدرى الدارُ إنك عاشق ... أوَ عندها خبرٌ بأنك مبتلى

وكيف يجيبنى رسمُ محيل ... بعيدٌ لا يرد على سؤالى

قفا يا صاحبى الغداة وسلما ... وعوجا فإن لم تفعلا اليوم تندما

علـى طـلل لـو أنـه كـان قبلـة   تـكـلم رسـم دارسـى لـتـكلما

ألا قـاتـلَ الله الطـلـولَ البواليـا   وقـاتـل ذكـراكِ السنين الخواليا

يا صاحبى سلْ ربعَ عبلة واجتهدْ   إن كـان للربـعِ المحيـل لـسـان
لـيت المنـازل أخبـرت مستخبراً   أيـن اسـتـقـرَّ بأهلِـهـا الأوطان

* * *

الفصل التاسع

الفـارس

لـى النـفـوسُ وللطير اللحـوم

وللوحشِ العظامُ وللخيالةِ السلـب

قبل أن نخوض فى حياة الفارس ومنهـجه فى خوض غمار المعارك علينا أن نقف دوماً أمام كلمات عنترة أولاً لأن الصـدق بادٍ فيها كذا التواضـع وثانياً لأنهـا كلمات واقـعية تصـور هذا الرجل فلا تجـعلك تذهب فيه كل مذهب بل أنت فيه أو معه أمام صورة واضحة ومذهب واحد هي صـورة البطل ومذهب البطولة وكـلاهما وجهـان فى عملة واحدة هى الفداء.

فالبطولة فى مـعناها والبطل فى معناه هما الفداء من أجل قـيمة أو مبدأ أو معنى يراه هذا الـبطل فتتجسد حوله بطولتـه، والبطل قد يتبع البطولة أو قـد تتبع البطولة الـبطل لكن رافدهمـا فى النهاية واحـد، وعلاقة عنترة بالبطولة ليس فى كونه بطلاً وكـفى لا بل علاقته بها من جانب آخر هو جانب الحرص على قيمـة العدل فى معناها وقيمة الحق فى مبناها وقـيمة الفخـر فى ذراها، وهو فى كل قيمـة من هذه القيم يحرص كل الحرص على استقلالية البطل واختصاص البطولة فكان أن أتسـمت به البطولة واتصـفت. فكثـيـراً ما نسـمع عن رجل عنتـرى

والمقصود به الرجل الجسور صاحب الشجاعة مثل عنترة.

لكن لماذا نحن قلنا رجلاً عنترياً ولم نقل شجاعاً إلا لوصف صبغة عنترة على الشجاعة نفسها وإلا لميزة اختصت بها شجاعة عنترة ففرضت نفسها على الوصف وعلى الشجاعة!!

لكن فيما تجسدت بطولة عنترة، وفيما تجسد له الفداء هل فى ساحات الوغي فقط من قتل وضرب وطعان ليفتدى بنى عبس، أم أن هناك مجالات أخرى.. وهل على عنترة أن ينجح فى كل مجال كما نجح فى مجال الحرب والطعان كى يستحق أن يكون بطلاً؟ الحقيقة أن مجالات البطولة كثيرة متعددة متنوعة والنجاح فى مجال يستدعى النجاح فى كل مجال من مجالاتها.. إن الكريم حين يسخو ويجود هو بطل وهو شجاع والأمين حين يأمن ويأتمن هو بطل وهو شجاع وإن الشريف حين يعف والوفى حين يفى هما يصنعان بطولة فما يستطيعه الكريم يعجز عنه الشحيح البخيل والوفاء هو عجز فى نفوس الخائنين، كما أن العاهر البغى فى ابتعاده عن الشرف هو أصلاً يعجز عن أن يكون شريفاً.

وعنترة قد حركته دوافع عديدة كى ينجح بارزاً فى كل مجال من مجالات البطولة بجدارة وامتياز لأنه حر شريف ووفى كريم فلقد حركته العبودية والظلم والقسوة فكأن الرجل العنيد القاسى حين يكون مجال العناد والقسوة هو المجال الطبيعى وحركته الحرية والجمال حركة فكان رجل الحب واللين والموادعة، وحركته عزة نفسه فكان الرجل الأمين الوفى، وحركه الكرم العربى فكان الرجل الكريم الذى يجود بكل ما ملكت يده.

فأنت أمام فارس حين يـدخل المعركة يدخل لا لمغنم ولا لسلب بل إما دفـاعاً عن قبـيلته أو طلباً للثـأر أو هو يخوضهـا خوض الواجب لدافع القـحط والجوع والنزاع على مـوارد المياه والحيـاة لكنه فى ذات الوقت هو أشـد كرهاً للحرب والدمـار لأنها تذهب بالصـديق وتهين الأعراض وتـفرق الأهل والأحـباب وتملأ القلوب نكداً وهمـاً، وأنت أمام فارس حين تكـون الفروسية هى الفضل والجـود والكرم كذا أنت أمام فـارس حين تكون الفروسيـة هى الوفاء أو حين تكون هى العـفة والشرف فبطـولة عنترة وفروسيتـه ليست هى بطولة وفروسـية السيف والطعان وحدها بل هى بطولة الواجب أينما كان مجال هذا الواجب.

منهج عنترة فى خوض المعارك :ـ

لم تكن المعارك عند عنترة قـتال عشوائى يدخلها مـقاتلاً لا يحسب حساب نتـائجها المترتبة عليهـا أو يندفع إليها اندفاع الغر تسـتهويه فى لحظة حماس ورعونة حتى إذا قـابلته الأهوال والمخاطر اضطر للصمود أمامها مجبوراً على لقـاءها كنوع من حب الحياة والتعلق بها ، كذا لم يندفع إليهـا جاهلاً أسبابهـا ومسبباتهـا فلا هذا ولا ذاك. . . . بل إن المعارك عنده والحروب ما هى إلا من الواجبات التى يناط بالفرد حملها وتحملها فلقـد ارتبطت بحياة العربى ـ فى ذلك الـوقت ـ كما ارتبط العـربى بحـياته لكن فى خـلال هذا الارتبـاط وجـدت صور عـديدة ومتنوعـة لقناعة عنتـرة بالحروب كصـاحب فكر مسـتقل ورأى أريب ونفس ثائرة وعزيمة جبارة لا تلين.

فليـست المعارك والحروب إلا روتين حـياة البـادية فى ذلك الحين. وليست المعارك إلا متنفساً طبيعياً لحـياة العربى يفرغ فيها طاقته بنشاط

ليملأ فراغـه بعيداً عن ملل الصحراء الواسعة بأحـداثها الضئيلة، لكن بالنسبة لعنترة فلا هذا روتين حياته الممتلئة بأحداث كثيرة متعبة ومتلفة فما هو إلا عبد لم يكتب عليـه القتال ولا هو بواجد الفراغ الذى يملأ حيـاة سادته وعلى هذا فلقد دخل عنتـرة إلى المعارك بغيـر المبدأ الذى ولج به سـادته ولذا تمثلت له المعـارك فى صـورة غيـر التى تصـورها السادة.

لذا فهذا مبدأ الواجب وتلك صورة العدل والإعتدال ومن خلالهما يتمثل منهجه فى خـوض المعارك كيف كان؟ لكن لنعلم أيضاً أن وراء هذا المبدأ وتلك الصـورة دافعاً أقـوى هو كل حياة عنتـرة وهو البحث عن الحرية ! نعم بحث عنها لأنه يعشقها ولأنه يعشقها فقد بحث عنها فى أوضح طرقها وأقواها وأخطرها وهو طريق مـضمون لمن وعاه من جانبيه، فإما أن يحيا فى قـومه حراً عزيزاً بقدر ما قدم من بلاء وعزم وإما أن يموت وموته فراق لتلك العـبودية الذليلة التى هى موت لذات الإسنان وطموحه فالـعبودية فى نظره موت يتعرض فيـه العبد لنظرات تستذله وتهـينه أو الموت الحقيقى فـهو شرف يتخلص فـيه الإنسان من عيون السـفهاء وقيودهم ولذا لن نجد مطلقـاً عند عنترة لحظة ندم على بلائه أو موته لأن قيمة الإنسان وفخره فيما قدم ومن هنا تتجسد أولى خطوات هذا المنهج العنترى وهو قناعته التامة فى خوض غمار المعارك فهى مجده الذى يبنيه بيديه.

وإذا الكتيبة احجمت وتلاحظت   ألفيت خيراً من معم مخول

وهذه القناعة لابد أن تسلمك إلى شئ آخر مـرتبط بها ارتباط العين بالنظر والقول باللسان ألا وهو الإقدام.

فتى يخوض غمار الحرب مبتسماً   وينثنى وسنان الرمح مختضب

وخضت بمهجتى بحر المنايا   ونار الحرب تتقد اتقاداً

وهذا إقدام ليس أرعن بل هو هادئ رزين مبني على أسس منطقية وعقل حصيف يدرس الموقف لطول خبرته وتمرسه عليه فلا يخذله يوماً أن يجره إلى موقف ليس عاقبته إلا الندم، والندم هنا في موقف العثرة أشد وأفدح من موقف الموت والهلاك، ففى الموت فناء إلى حرية أما موقف العثرة فإما يتحمل معه العار وإما يلبس فيه لباس الذل والعبودية. قيل يوماً لعنترة : أنت أشجع الناس وأشدها؟ قال : لا. قيل : فبم إذا شاع لك هذا فى الناس؟

قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ولا أدخل موضعاً لا أرى لى منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه.

نعم هنا إقدام وهنا إحجام وكلاهما «الإقدام والإحجام» إقدام على الموقف بما يناسبه ولن تهتز شجاعة عنترة لاختياره السهل اللين دون الوعر الصعب فلربما يكون هذا السهل اللين هو الوعر الذى يخافه الناس ويعجزون عنه، وليس من العدل أن نطلب من البطل الشجاع أن يرينا شجاعته على حسب هوانا نحن بل نراها على حسب هواه هو وهذا الإقدام قد اعتمد العامل النفسى بصورة أساسية لأن صاحبه حين يختار النفوس يميز بينها تمييزاً عبقرياً فيعرف متى يقدم هذا ليؤخر ذلك ومتي يفرد هذا ليجمع على غيره وليصل إليه من أقصر الطرق وأوهنها

لأن الوصـول إليهـا من غيـر هذا الطريق قد يكون عـائقاً لـه أو ضد رغبته، ورغم هذه القناعة وهذا الإقـدام إلا أن للحذر هنا دوراً إيجابياً حيث هو حذر متكامل فى كل جانـب وهو حذر مبناه تبعة الموقف لا خوف الموقف ورهبـته فـقتل عنترة فى المعـركة معـناه اضطراب جيش وتزعزع قبيلة. لذا فـقد كان عنترة حذراً فى المواجهة والقـتال بقدر ما كان حذراً من المواجهة والقتال وهذا الحذر قد تمثل لدى عنترة فى عدة صور أو قل عناصـر منها أولا: التهيـئة والإعداد النفسى وعـدم تهيب الموقف.

فتى يخوض غمار الحرب مبتسماً

ويـنـثـنى وسـنـان الرمح مختضب

ومن أدوات هذا الحـذر البحث واسـتقـصاء نقـاط ضعف الخـصم وأخده منها.

إذا أقبلتُ حدق الفرسان ترمقـنى   وكل مقدام حرب مال للهرب
فمـا تـركـت لهم وجـهـاً لمـنهزم   ولا طريقـاً ينجيهم من العَطَب
خُلقت للحرب أحمِّيها إذا بردت   وأصطلى نارها فى شدة اللهب

ومن الحذر كذلك سرعة الضرب والطعن وتتابعهما بلا توقف حتى ينهار عدوه.

فلـمـا دنـى مـنـي قـطـعت وتينَه   بـحـدِ حـسـامٍ صـارمٍ يـتـبـلـج
فتى يخوضُ غمارَ الحربِ مبتسماً   وينثنى وسنانُ الرمـح مخـتـضب
إن سـل صارمـه سالـت مضاربـه   وأشرق الجـو وانشقت له الحجب

والخيل تشهد لى أنى أكـفـكـفـها　　والطعن مـثـل شرار النار يلتهب

ومن أوضح صـور الحذر عند عنتـرة أنه كان يحـتمى بعصـابة من فرسان عبس يتـدارس معها موقف القتال فى كل معـركة واعتقادى أن هذا الأسلوب وذاك العامل قـد مكن لعنترة سيرة أطول من غـيره من الفرسان فى ساحات القتال وهو عامل مهم في خلود وشهرة عنترة

وحـولى دون الأنـام عصابة　　تـوددها يخفى وأضغانها تبدو

يسـر الفتـى دهـر وقد ساءه　　وتـخدمـه الأيام وهو لها عبد

ولا مـال إلا مـا أفـادك نيله　　ثنـاء ولا مـال لمن ما لـه مجد

ولا عـاش إلا مـن يصاحب فـتـيـة

عطاريف لا يعنيهم النحس والسعد

إذا طـولبوا يـوماً إلى الغـزو شمروا

وإن نـدبوا يـوماً إلي غـارة جـدوا

ويصـحـبـنى من آل عبس عصابـة

لـهـا شـرف بـيـن القـبـائـل يمـتـد

بَـهَـا لِيلٌ مثل الأسد فى كل موطن

كـأن دم الأعـداء فـى فمـهم شهـد

ومن خلال هذه العصابة تدار خطة المعركة.

ودرنا كما دارت على قطبها الرحى

ودارت على هـام الرجال الصفائـح

تـداعى بنـو عـبـس بـكـلِ مُـهـنـدٍ

حـسـام يـزيل الهامَ والصفُ جانح

ولم يكن بعيداً عن خطوات هذا المنهج العنترى الصبر والثبات حتى تسفر المعركة عن وجهها بأى لون حتى ولو كان الموقف موقف الهزيمة والفرار فلقد روى أبو عمرو الشيبـانى أن عبساً غزت بنى تميم وعليهم قيس بن زهير فـانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنـو تميم فوقف لهم عنترة وحامـى عن الناس فلم يصب مدبر ، وكـان قيس بن زهـير سيـدهم فـساءه مـا صنع عنترة يومـئـذ فقـال : والله ما حـمى الناس إلا ابن السوداء.

وخطوات هذا المنهج لن تنتـهى بحديثنا عنهـا ولقد قلنا قـبلاً حين الحديث عن شـعر عنترة إن إرسـال عنترة لمقطوعات شـعرية صغـيرة خفيفـة منها التهديد والوعيد وذكـر فروسيته لهو من العـوامل النفسية التى اعتـمدها عنترة فى حروبه ليـخيف بها أعدائه والتى نطلق عـليها الآن فى عصرنا الحديث الحرب النفسيـة والمقصود منها زعزعة الخصم وجعله يفـقد الثقـة فى نفسه لينـهار سريعـاً ، ومن خلال هذا المنهج تجسـدت طبيعـة عنترة القتـالية والذى من خطواته كـذلك أنه لا يترك الفرصة لعدوه للهرب من ميدان القتال.

إذا أقبلت حدق الفرسان ترمقنى ... وكل مقدام حرب مال للهرب

فـما تركـت لهـم وجـهاً لمنـهزم ... ولا طريقاً ينجـيهم من العطب

كـذلك حين تحدثنا عن اسم عنتـرة ولقـد قلنا : أما المعنى الثـانى لعنترة وهو الصخرة السوداء المنحـدرة من شاهق فى شدة وقوة مدمرة

فنرى أنه وصف حقيقى لطريقة عنترة فى خوض المعارك فعنترة ما كان يدخل المعركة من بدايتها بل يتمهل ليرى ويدرس أعداءه جيداً ويحدد لنفسه مدخلاً ومخرجاً ثم ينقض فجأة فى سرعة وقوة ويكون فى انقضاضه هذا قد تصيد فرائسه من بين صفوف الأعداء فيختار فوارسهم التى فى قتلها تدمير وانهيار لصفوف الأعداء.

وأصدم كبش القوم ثم أذيقه مرارةَ كأسِ الموتِ صبراً يمجج
وآخذُ ثأرَ الندب سيدَ قوميه وأضْرمها فى الحرب ناراً تؤجج
كم شجاع دنا إلى ونادى يا لقومى أنا الشجاع المهيب
ما دعانى إلا مضى يكدم الأرض وقد شقت عليه الجيوب

طبيعة عنترة القتالية....

الحديث عن طبيعة عنترة القتالية حديث ليس ببعيد عن منهجه فى خوض المعارك لكن هذا جانب وذاك جانب آخر من شخصية عنترة لكنهما أبداً لا يفترقان لأن الموازاة رابطهما من المنشأ حتى النهاية، فقد تفرض معركة ما على عنترة التغيير من أسلوبه القتالى المعتاد للقتال بأسلوب خاص تبعاً لطبيعة تلك المعركة، لكن بلا شك أن لعنترة أسلوباً خاصاً به وميسماً يتفرد فيه فى القتال يطبعه ويطبع كل معاركه أو معظمها أو جانب منها بطابع عنترى ، وهذه الطبيعة العنترية فى القتال هى التى مكنته من تسيد الموقف سريعاً سريعاً وليس هذا لعدم وجود فرسان من طرازه أو أمهر منه وأقدر. فهذا احتمال بعيد لأمة حياتها قتال دائم متواصل فهى قد أعدت نفسها للموت مثلما أُعدَّت للحياة ومن طبيعة هذا الإعداد نفسه ستكون طبيعة عنترة القتالية .

وليس معنى الإعداد للمـوت هو كره الحياه والفرار مـنها بل معناها القدرة على مواجـهتها والصمـود فى وجهها وتحديـها بعناد وقوة ومن هنا فهـذه النفس تعتـمد أولاً روح المغـامرة، وروح المغامـرة تمثل فى منهجه مبدأ الإقدام والاقتحام، وتعتمد ثانياً فلسفة واعية مدركة للحياة منطقها الرضا ــ الرضا بالحياة ــ والرضا بالموت وهذا فى منهجه يقابل ويعادل مبدأ القنـاعة وهى ثالثاً تعتمد العقل دلـيلاً هادياً أو مرشداً فى موقف يعز فيه العقل والتعـقل والفكر والتفكير إلى حد كبير وهو هنا دافعهـا للحذر والانضباط لاخـتيار اللحظة التى يخوض فـيها من أى الثغـرات يفد ومن أيها يفر وهذه الطبـيعة هى صفـات فى نفس عنترة تطورت ورسـخت من خلال تمرسـه فى خوض المعـارك والقتـال من جانبين أولهـما جانب المعـارك والقتـال ضد أعداء بنى عـبس والثانى جانب المعارك النفسية فى مـواجهة بنى عبس من أجل الحرية فكان أن أمدته بصـبر وطول البـال واللين والموادعة. وإذا كان لعـنترة من رابط متين من تلـك الطبيعـة وذاك المنهج فهـو المباشرة والوضـوع التى هى أقصر الطرق لتحقيق غاياته من كلا الجانبين.

قلنا قبلاً أن مبدأ الواجب وصورة العدل هما من أسباب دفع وتقدم عنترة للقـتال ومن خلالهمـا تمثل منهجه القتـالى بطبيعتـه التى تحدثنا عنهـا، وقلنا أيضاً أن وراء هذا المبـدأ وتلك الصورة دافـعاً أقـوى هو البحث عن الحرية. فـما علاقة البحث عن الحـرية بكل هذا وقد كان يكفى هذا العـبد الهروب مـن ساداته للتصـعلك وينال حريـته بلا أية ضوابط بدلاً من أن يعرض نفسه للموت والقتل؟

لكن للواجب هنا دوراً فعالاً وللإعتدال أيضـاً فقيمة الحرية لم تكن

فى إحساسه بها فقط أو أن يعيشها متصعلكاً لأن هذه العيشة وهذا الإحساس ما هى إلا صورة أخرى من صور العبودية لأنها وإن ارضت النفس شيئاً فمما لا شك فيه أنها أيضاً تحمل خوفاً ورعباً وانهزاماً وهروباً وعدم اطمئنان مع عدم الاعتراف بالحرية له ومجمل ذلك أنه لن يشعر لذة الحرية بقدر ما يستشعر خسارتها، أيضاً للواجب العادل هنا دور آخر حيث عنترة مرتبط جداً ومشدود بأسرته والصعلكة هنا قد تكون وبالاً وضرراً على أمه وإخوته هذا علاوة على إحساسه بأنه فرد من بنى عبس والواجب هنا الدفاع عنهم لا محاربتهم، وإذا كانت الحرية هى المطلب فيجب أن تكون المطلب العادل السليم الذى يحمل حقوقاً وواجبات تتساوى فيها رؤوس العبد بساداته وهنا سيكون للحرية طعم ولذة لن تعادلها لذة الصعلكة والتصعلك. ومن هنا فقد كانت الفروسية هى أقصر الطرق للوصول بعنترة لهذه الحرية.

لكن هل يحق لنا أن نعتبر عنترة قائداً حربياً؟

إن القول باعتبار عنترة قائداً حربياً مبالغة قد لا يحتمل زيفها عنترة ذاته، وهى لن تضفى عليه مجداً فوق مجده وفوق ما أضفت له فروسيته وبطولته، فالقيادة الحربية فى ذلك الحين كانت قبيلة يتولاها رؤوس القبائل وأشرافها ومستحيل على سادة عبس الذين ضنوا على عنترة بحريته أن يقبلوا أن يكونوا تحت قيادة هذا العبد الشرس، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فالمعارك التى خاضها عنترة فى شبه الجزيرة ما هى إلا مناوشات صغيرة ــ فى عرف التاريخ الحربى لم يترتب عليها ما يغير مجرى التاريخ لكن فروسية عنترة فروسية خاصة تميزت به وتميزت له فى وقت لم تحتج شبه الجزية فيه لقيادة حربية

فكانت فروسية عنترة هى التي يتطلع إليها كل قائد وكل فارس بتعظيم وإكبار وهى بعد كل هذا فروسية متزنة تعرف مكامن القوة ومكامن الضعف ومتى تتحرك حين تكون الحركة تحقيق النصر ومتى تسكن حين يكون السكون هو أبلغ نصر ولقد أحسن عنترة نصراً حين طبع فروسيته بهذا الإعتدال النفسى الواعى فقال :

وللحلم أوقات وللجهل مثلُها   ولكن أوقاتى إلى الحلم أقرب

* * *

الفصل العاشر

مفتاح شخصيته

قال أستاذنا العقاد ـ عليه رحمة الله ـ فى عبقرية عمر ـ رضى الله عنه ـ إن مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التى تفتح لنا أبوابها وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها وهو كمفتاح البيت فى كثير من المشابهة والأغراض فيكون البيت كالحصن المغلق ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة التى قد تحملها فى أصغر جيب فإذا عالجته فلا حصن ولا إغلاق وليس مفتاح البيت وصفاً ولا تمثيلاً لشكله واتاسعه وكذلك مفتاح الشخصية ليس بوصف لها ولا بتمثيل لخصائصها ومزاياها ولكنه أداة تنفذ بك إلى دخائلها ولا تزيد. أ.هـ.

إن شخصية عنترة من الشخصيات التى تحتار فى تعيين مفتاح لها وليس هذا لضعف فيها أو لخلل بها أو اضطراب فى طباعها بل هى بعيدة عن الضعف والخلل والاضطراب، فشخصية عنترة ليست من الشخصيات التى تعييك فى تعيين مفتاح لها، لكنها قد تعييك وتعييك فى أى المفاتيح هو مفتاح لها، فهى تسلمك من مفتاح لآخر بكل يسر وسهولة وكأنها تحمل كماً من المفاتيح كلهم قريب من قريب، وسبب ذلك فيما أعتقد هو الظروف التى نشأ فيها تناقضت كثيراً وتفاوتت حتى أضحى سمتها الاضطراب وميسمها التناقض والتفاوت وما من

واقع يكون كهذا الحال إلا وبدت ظاهرة اثاره ونتائجه على أفراده . . . هذا من جانب ومن جانب آخر فإننا ما أصبنا من عنترة شيئاً متفق عليه اللهم الا إسم امه «زبيبة» .

وعليك أن تعلم أن هناك بوناً شاسعاً بين أن يضيع المفتاح فلا تعلم عنه شيئاً وبين أن تتعدد المفاتيح التى يحمل كل منها جانباً من جوانب هذه الشخصية فما من مفتاح ظهر لهذه الشخصية إلا وكان مقدمة تسلمك لغيره حتى تصل بك إلى مفتاح هو المفتاح الذى تُجدّ فى البحث عنه وتجد كل المفاتيح تتعلق به إن وجد أدت دورها وإن غاب فلا دور لها ولا فائدة منها، وهى أخيراً فى أداء دورها تؤكد على أصالة هذا المفتاح وجدارته.

حينما شرعت فى الحديث عن عنترة تبدت أمام عينى ملامح العناد تتجسد خلف كثير من مواقفه وتصرفاته وظننت ـ كما ظن غيرى ـ أن العناد فى عنترة وصفاً لازماً وطبعاً لا فكاك له منه وهو المحرك له والدافع وراء كل صغيرة وكبيرة فى حياة عنترة، وكدت أن أقنع أن العناد هو المفتاح لهذه الشخصية والذى يفسرها فى جميع مواقفها، لكن تبصرت أن العناد موقف سلبى فى حياة عنترة فى المنشأ والنتيجة فلا هو ينشأ من ذات صاحبه، ولا نتائجه تصل به إلى قناعة نفسه ورضاها فضلاً عن أن تكون مبتورة غير تامة ولا مقنعة فى ذاتها من أن تكون هى المفسرة لكل شئ فى حياة عنترة.

ولا يقولن قائل أننا ننفي العناد عن عنترة كلية حتى نجرده منه فهذا لا يكون لأن عنترة عنيد إلى حد كبير لكن عناد عنترة لا يسيطر عليه، بل ليس العناد هو دافع اللذة لديه فى حياته فعناد عنترة من النوع

التنبيهى الذي يستخدمــه بوعى فى مواقف محدودة ولغرض ما فإذا تم ما هو له سلك به درباً غير دربه ومشى في طريق غير طريقه فإذا العناد ليس عناداً وإذا عنتـرة مجرداً منه بعـيداً عنه لأنه لم يبـتغيـه إلا كأداة لغرض سواه.

خذ مثلاً على ذلك موقفه من سميه زوج أبيه ورفضه دعوتها نفسها إليه ثـم سل نفسك : هل حـقاً هو يعند مـعهـا؟ وما دافعـه فى هذا العناد؟

ويقول قائل : نعم .... وهو يعند معها ليستشعر لذة النصر على سادته ويستشعر قوة نفسه وضعفهم.

لكن العناد لا يولد مـبدأ غير أنـه قد يكون هو ذاته وليد مـبدأ لذا سرعان ما سـتسأل نفسك أليست لذة العناد فى شعـوره بانتصاره على سـادته؟ وأليس أبلغ نصـر على هؤلاء الـسادة المـتكبـرين حين يلطخ شرفهم وكبرياؤهم مع تلك المرأة المتمـردة التى أتته هائمة على وجهها وقد استبد بها شيطانها فـلا ملامة إذن ولا خوف منها يكون هو دافعه للتراجع عنها؟!

إن سبب العناد هنا غـير سبب الرفض ولو كان عناداً ما كـان رفضاً منه ـ أو قل ما كان منه رفض ـ ولتحين عنترة الفرصة لينتقم وليثبت له العناد، من جـانب آخـر مع أبيه الذى مـازال برفـضه يملأ قلبـه ثورة وانتقاماً. فأين العناد إذاً ؟

وخذ مثلاً آخر من مواقف عنترة ـ وهى كثيرة ـ تمثل العناد لمن يراها عناداً من أول وهلة لكنهـا حين تنكشف تمامـاً تكون هى والعناد على طرف نقيض منها موقفه مع زوجه وهـى تنهاه عن إطعام فرسه الغبوق

وعنترة يصر على إطعامه الغبوق رغماً عنها وكيداً لها ونكاية فيها وهو في أول وهلة عناد مـا بعده عناد ـ عـند من يؤكد هذا الموقف ويصـر على زواج عنترة ـ لكن عنترة يعند ولا يتركك حـتى يؤكد لك أسباب كل هذا ليـقنعك أنه يرد ديناً عـليه لهـذا الفـرس الذى هو مـدين له بحياته.

وخذ موقفـاً ثالثاً مع أبيه ـ حينما اعترف به ـ حـسبما يروى الرواة ورفضه خوض المعركة حتى يسمع من أبيه اعترافاً منه بحريته ونسبه.

ونحن لا نرى فيـه أى عناد بل هو موقف طبيعى جـداً لإنسان مل من قوم أهانوه وأذلوه برغم كثرة أفضاله عليهم وأراد أن يستوثق لنفسه وكرامته منهم.

إن نتائج العناد دوماً معلقة بأسبابه أو هى ضد أسبابه ولذا فهو ـ أى العناد ـ إمـا أن يعود على صاحـبه بخـسارة أو هى خسـارة على من يعانده، ولو أنك تبصرت جيداً مواقـف عنترة ـ واختر منها ما شئت ـ فلن تجد نتائجـها خسارته أو خـسارة غيره ذلك لأن عنترة فى مـواقفه هذه صاحب حق يدافع فى وعى وإدراك يعرف إلى أين يذهب به الحق أو يذهب هو بالحق.

لهذا ولغير هذا لم يكن العناد هو مفتـاح شخصية عنترة ولا المحرك لأفعـاله والمسيطر على مـواقفه، فـالعناد موجود عنـد عنترة بلا شك ولكن عنترة هو المسيطر عليه والمحـرك له، وهات أياً شئت من مواقفه وارسم له العناد كما تحب ثم ابحث عن أسبابه ودوافعه تجد عناد عنترة فيه عناداً طبيعياً وغير متكلف يحـتاجه الموقف ذاته احتياجاً شديداً كما أداة عنترة تماماً فإن قل أو زاد فسد الموقف كلفة وتكلفاً .

خذ مـوقفـاً آخراً للعناد ـ ربما كـان أبلغ وأوضح ـ يتمثلـه البعض قائلين: والعناد هو دافع عنتـرة فى حب عبلة ـ أو لحبهـا ـ ليذل بهذا الحب تلك القبيلة لتى عبدته حين يتزوج العـبد سيدة من أحرار القبيلة وحين يشبب بهـا فى جرأة وسفور والعناد كذلك هو دافـعه من الغناء بشعره فى عبلة ليذيق زوجها مذلة العـار أو يدفعه لطلاقها فإذا طلقها بدا عناده المنتصر شامتاً فى عبلة ليقول:

صحا من بعد سكرته فؤادى — وعـاود مقـلـتـى طيب الرقـاد
وأصبـح من يعانـدنى ذليلاً — كـثير الهـم لا فديـه فـادى
يرى فى نومه فتكات سيـفى — فـيشكـو مـا يـراه إلى الـوساد

ونخشى إن نحن جارينا هؤلاء فى سردهم طبع العناد بهذه الصورة على حـياة عنتـرة أن يصلوا بنا إلى أن نزول عـنترة من بطن امـه هو صورة مـن صور العناد للحـياة ولقـد قلنا قبـلاً إننا لا ننكر أن يكون عنترة عنيداً لكن ننكر ــ وبشدة ــ أن يكون العناد هو مفـتاح شخصية عنتـرة والمفسـر لهـا، وعنترة فى هذا الموقف لا يـعاند بقـدر ما يثـأر لرجولته وكرامته من أناس تلاعبوا به واستقلوا قدره لذا فالعناد موجود ومنشأه ليس الطبع بل الموقف والموقف يستحق هذا وأكثر من هذا.

فإذا فرغنا من هذا العناد كمفتاح لشخصية عنترة سمعنا من يقول : بل إن مفتاح شخصية عنترة هو نرجسيته ــ فعنترة إنسان نرجسى الطبع والهوى يعشق ذاته ويهيم بها حتى الثمالة، وإن شئت دليلاً على ذلك فأدلة !! منها حبه لعبلة. فعنتـرة ما كان يحب عبلة حقيقة حب رجل لامرأة بل حبه لها هو أثر وليد نرجسية عشق الذات حيث تخيل أفضل الناس جمالاً يتـلذذ بإرتباطه بها يدفعه فى ذلـك الغرور ولو وجد من

هى أفضل من عبلة ما توانى عنترة عن التعلق بها.

وهو صاحب نرجسية متكبرة حين يدخل المعركة فلا يختار إلا رؤوس القوم وفرسانهم ليقضى عليهم ولا يعنيه غيرهم من المحاربين، وهو ما دخل القتال وحارب من أجل عبس القبيلة بل ليترنم بسماع اسمه يجرى على كل لسان ويتغنى به الناس فتعميه لذة الفخر عن ألم الحروب وآثارها، وإذا أردت دليلاً آخراً فإليك ديوان عنترة وهو يتغنى بنفسه وبطولته فى مبالغة سافرة وكأن البطولة لم تخلق إلا له بل قل على يديه!!

ونهاية القول لقد عشق هذا الفتى نفسه عشقاً مهلكاً بلا حدود وكاد أن يدفع وتدفع به للهلاك والفناء حينما أنف البعودية وملها مقاوماً حتى تحصل على حريته.

وصاحب هذا الرأى قد يكون دافعه فى هذا وإليه الاستفزاز أكثر مما يدفعنا إلى التفكير فى شأن عنترة أنرجسى هو حقاً أم هو بعيد عن النرجسية وعشق الذات ؟

لكن لو نحن سلمنا لعنترة بالنرجسية هكذا ـ كما يقول صاحبنا هذا ـ فلابد أن نسلم له بالخبل والجنون أيضاً، لأن منطق النرجسية هنا غير كافٍ لقناعتنا بتصرف عنترة هكذا بدون أن يكون صاحب جنون، هذا لأن كل موقف من هذه المواقف يخالف النرجسية ويناقضها ضداً لضد بلا تعنت ولا تكلف....... وإذا كانت النرجسية هى عشق الذات فأول أدوات هذا العشق هى المحافظة على المنفس وأول وسائل هذه المحافظة هى إبعادها عن كل ما فيه مظنة هلكتها ولك أن تذهب فى تسمية ذلك ـ إن شئت أن تسميه ـ جبناً وخوفاً فبها تبقى النفس سالمة

بعيدة عن مظنة التهلكة، وثانى هذه الوسائل أنـها نفس نفس شحيحة بخيلة تؤثر نفسها بكل شئ على غيرها فلا تعرف جوداً أو كرماً. . . . وضع عنترة بين هاتين الخصلتين خصلة الجبن وخصلة البخل فماذا أنت واجد؟ ستجد رجلاً لا يختلف اثنان على شجاعته ولا على كرمه، بل ستجد من يوافقك على أنها شجاعـة غير عادية وكرم غير عادى وهذا غيـر عجيب ولا غريب، فـما الشجـاعة إلا كرم والكرم شجـاعة فى صورة من صـورها . أو قل ذلك فى أصل صورة الشجـاعة والكرم، فالإنسان الكريم شـجاع لأنه غامر بما يملك ولـم يخش عـاقبة ذلك فى غد لا يعـرف عنه شيئـاً . والإنسان الشـجاع كريم سـخى لأنه يقدم ويعطى أغلى وأعز ما يمتلك فى سخاء. أعطي نفسه ـ وهل بعد النفس غال عند صاحبها؟! وعنترة حين حارب عـبوديته لم يدفعه لمحاربتها إلا دافع أكبر وأقوى من العبودية بل هو دافع أقوى من حياته وموته لسبب بسيط أنه لم يفكر فى الحيـاة والموت وهو حين حارب وناضل لم يكن فى حاجة للفخر ليتلذذ به طرباً ونغـماً فى أذنيه بل تخير أقصر الطرق للخلاص من الرق والـعبودية وسلك أوضح السـبل للوصول لحـريته وهو حين أحب عبلة ما اختار جمالها ليتلذذ به ولا لأنها أجمل النساء فيتيه فـخراً من هنا أو هنا بل أحبها لأن قلبه أحبـها ولم يحب غيرها حتى أنه عندما تأكد من تلاعبها به وخداعها له لم يستطع أن يتخلص من هذا الحب ودار الصراع فى داخله حتي تحول حبه إلى حب انتقامى يثأر فيه لنفسه وكرامته لكنه أبداً لن يستطيع منه خلاصاً .

قل هذا وقل مثل هذا على ما تقابله وتلقاه فى طريقك عن نرجسية عنترة وعشقـه لذاته فما هى بنرجسية ومـا هو بنرجسى، وكيف يكون

عنترة نرجسياً هذا الذى رفض أن يكـون أشجع الناس حينما سئل عن ذلك وأنه لو قـال نعم لصدقناه تصـديق، من يجـد ويمتلك كل دليل على صدقه وما كذبناه لأننا لن نجد حيلة فى تكذيبه وعناده وأيضاً لأن النرجسية ليـست كذلك فما عنترة بنرجسى ولا النرجـسية تنطبق على عنترة. . . .

وحيـنما ذهبنا فى بحـثنا عن هذا المفتـاح عنّ لنا من بعـيد التـمرد كمفتـاح لشخصية عنترة ووصف له، وهو مفـتاح ما تمثلناه فى موقف إلا فسره على وجه فيه من القناعة قدر لكن فيه من غيرها أقدار.

تمثلناه حين تمثلناه على عبودية عنترة وفراره منهـا. فهو رجل متمرد على وضعه متـمرد على أسياده من أجل ذاك الوضع ومن أجل صلف أسياده وتكبرهم وظلمهم لكنه أبداً ما تمرد على قبيلته ولا انقلب عليها متمرداً كما فعل صعاليك العرب!!

وقد يقول قائل : إن صعـاليك العرب هم الذين رفضوه لأن جلهم أو مـعظمـهم من أحـرار العرب لا مـن العبـيـد. . . ! وهذا رأى واهٍ ضعـيف فالصـعلكة لم تعـرف سيادة وعـبودية مطـلقاً كذا كـان من الصعـاليك من هم من العبـيد، أيضـاً تعارف عنترة وصـاحب بعض صعاليك العرب لكنـه رفض حياتهم ومبدأهم وآثر حياة العـزلة فهجر قومه حتى تهدأ نفسه ثم يعود إليهم راضياً قانعاً بحياته معهم.

فتـمرد عنترة عـلى العبودية مـوجود معلوم لأنـه يعرف قدر نفـسه وقيمتها وتمرده على سادته ثابت لا ينكر كما لا تنكر أسبابه، فقد شعر عنترة بظلمهم وتكبرهم وأحس أنه أفـضل منهم ـ فى مجال الفضل ـ وأرقى فى كثير من الأمور لـكن أين تمرده على بنى عبس القبيلة ؟ إنه

أبداً مـا تمرد على قبـيلتـه لأنه يعلم جـيداً أنهـا الرحم الذى يحـفظه وينتسب إليه. . . .

وحب عبلة فيه جانب من التمرد ومعه أسبابه وفيه جوانب من عدم التمرد ولها وسائلها والبراهين فيهـا واضحة، فعنترة متمرد حين يتطلع لحب فتاة حرة من بـنى عبس ذات حسب ونسب فيها، وعنتـرة متمرد حين يظن أن تلك الفتـاة ستبادله حبـاً بحب أو هى تبادله هذا الحب، وهو متمرد حين يذكـرها فى شعره مشبباً بها ومـتمرد هو حين يحاول تغيـير وضعـه الاجتمـاعى ويفر من عبـوديته من أجل ذاك الحب فى صورة من صـور الفرار حسبـما يترائى للبـعض أنه كذلك. . . . لكن ماذا يفعل المحب فى قلب عـشق وعاطفة مأسورة تسـتدرجه فى حب هذه الفتاة لا سواها؟! أليس هو إنساناً يحب ويكره ؟

ماذا يفـعل فى قلب يأبى أن يعيش الواقع والحقـيقة كـما هى؟ إنه يحمل واقعاً خاصاً به وحقيـقة تستلزمه أن يعيشها هى. . . . لكن لماذا يحب عبلة وهـى الفتاة التى سـيطرت على قلبه ؟ لماذا لا يشـبب بها ويقول شعراً فيها وهى التى تدفعه لذلك؟ لماذا لا يحبها وقد تيقن أنها ابنة عمه أبوه من أبيها أخوان؟ لماذا لا يحـبها وهى لو قيست لها أقدار الرجال لكان هو أقدرهم وأجدرهم بها؟ والحب أخيراً ما هو إلا قلبان تآلفا العشق معاً ولا يعنينا أن يكون عنترة قد سأل نفسه عن هذا أم لم يسألها فما دمنا حكمنا على الرجل فلا بد أن نحكم له.

وتصورناه متمرداً فى موقفه مع سميه ليس له دافع إلا التمرد عليها وعصيانها فيما طلبت لم يدفـعه لعصيانها خلق تخلق به ولا رده مبدأ التزمه بل دافـعه فى هذا منشأه التمـرد والتمرد فقط ومعـارضة سادته

والتكبر عليهم ورفض مطالبهم حين يضعفون وتضعف بهم نفوسهم فلابد أن يتمرد ليتلذذ بضعفهم هذا ومخالفتهم.

وظننا هذا ظلمٌ بينٌ لعنترة وافتراء ظاهر عليه وعلى العربى الذى يقدر معنى عروبته حملنا عليه أول بادرة، لكن ما بالنا ننتقص من عنترة قدراً لمجرد أنه نشأ عبداً ولا ننظر إلى أخلاق ذلك العبد وأفعاله وتصرفاته، إن حقيقة الإنسان فى قيمته و قيمته فى أخلاقه وأفعاله فما بالنا نجادل فيما لا جدال فيه ونعاند بلا برهان يقنعنا؟ إنه لو كان مانع عنترة عن ذلك هو الخوف لحمدنا له خوفه ولقدرنا له موقفه ولو كان مامنعه عن سمية حبه لعبلة لقلنا رجل وفىٌّ شريف ولأثنينا على وفاءه وإخلاصه ولو أن مانعه من سمية مراعاة حق أبيه عليه لقلنا: رجل حر يعرف الواجب ويلزمه......... فما بالنا نترك كل هذا لنقول إنسان متمرد، يتمرد على سادته يستلذ عصيانهم ورفض ما يطلبون، وما بالنا ننسى أو نتناسى أن سمية فى موقفها هذا هى المتمردة على الحق والواجب والشرف والأخلاق وليس عنترة هو المتمرد إنما هو عبد تكبر بأدبه ومبدأه وحريته وحسن أخلاقه على سيدته حين نست هى كل ذلك فى لحظة ضعف، إنه عبدتمرد على سادته ليحميهم من فساد طباعهم.

هذا ما يجب أن نقوله فى هذه القضية ونقنع به ونجادل له.

وليس موقف من من هذه المواقف ألا وهو يمثل موقفاً آخراً من سلوك عنترة لا لأن الدافع واحد لكن لأن عنترة هوصاحب هذه المواقف يحركها بدافع واحد هو الدافع الأكبر المسيطر عليه فتظهر هنا عناداً وتظهر هنا تمرداً وليس هذا أيضاً لأن عنترة هنا عنيد وهنا متمرد

بل لأن الموقف هنا يحتاج العناد وهنا يحتاج التمرد أو قد يحتاجهما معاً فى موقف واحد.

فموقفه مع سمية - التى دعته إلى نفسها - إذا كنت أرفض فيه معنى النرجسية فلست برافض فيه معنى التمرد والعناد، نعم لقد عاند عنترة سمية لأنها تطلب منه شيئا خسيساً حقيراً، وتمرد عليها لأنها أرادت إذلاله وقهره على طاعتها والرضوخ لسلطانها فتمرد عليها وعلى سلطانها حتى قنعت أن تمرده منشأه أخلاقى.

وأخيراً إذا كانت جميع هذه المواقف غير مختصة بوصف مما قلنا وإن حملت منه قدراً معتدلاً. لا يخرجها إلى الشذوذ والإفراط فيه فما بالنا وهذه الأوصاف نفسها لو صدقت ليست هى المحركة لذات نفسها وحقيقتها بل يجمعها كلها محرك واحد يشملها ويشمل غيرها يطبعها ويطبع غيرها بطابعه وميسمه كذا هو رابطها بغاية أعلى وأسمى تخرجها من مدارها الضيق إلى مدار أرحب وأوسع.

وهذه الأوصاف لا تصلح فى النهاية وصفاً لعنترة ولا مفتاحاً لشخصيته لأنها تناقضت فيه واختلفت معه وخالفته لكنها بلا شك قد حملت منه شيئاً يفسرها فى حدود الإعتدال والمعقول وطبع عنترة فيها كطبع غيره من البشر العاديين.

ومفتاح شخصية عنترة أخيراً هو عشق الحرية....

نعم عشق عنترة الحرية وعشقت عنترة الحرية فتلبب كل منهما بالآخر وأصبح لا يستطيع كلٌ فكاكا ولا خلاصا! هو يعشقها لأنه لا يستطيع العيش بدونها، وهى تعشقه لأنه سيصبح رمزاً من رموزها وعلماً عليها وقدم كل منهما أقصى ما يقدم فى سبيل الآخر، قدم

إليها نفسه خالصة وقدمت إليه حقيقتها ومعناها كاملاً تاماً . . . . . .

بدأت علاقة عنترة بالحرية حينما أحس بذاته وشعر بها وبقيمتها فعشقها من أجل نفسه وعشق نفسه من أجلها ولذا فقد تمرد على حياته وعبوديته فى عناد وقوة من أجل أن يلتحم معها ويتجسد لها فى صورة تبهر من يتحسسها ويتأملها فيفهم أن صاحبها قد أوتى مهارة غير عادية فى حبها وفهمها فتجسد لها فى صورة الفارس المدافع عنها وتجسدت له فى صورة الحياة التى يحياها وينعم بها فإذا كانت حياة غيرها فلا حياة. . . . لذا كانت حياة عنترة تدوين لهذا العشق فى كل موقف من مواقفه. خذ موقفه من سمية ليس فيه تمرد طاغياً وليس فيه عناد مسيطراً ولا هو مما يوحى بالنرجسية فى أى ملمح من ملامحه وإذا كان حب النفس موجود فوجوده من أجل طهارة النفس ونقاء المبدأ ورعاية حق أبيه الذى لم يرع حق بنوته، ثم لماذا يفعل شيئاً فى خوف من وراء أعين الناس وهو أصلاً لا يرهب الناس؟

ولماذا يقدم نفسه قرباناً للخوف من أجل امرأة نست كل شئ فى سبيل لذتها؟

إن الحرية أن تعيش مع الحياة بكل وضوح وتلك هى حرية المبدأ.

وخذ موقفه حينما حادث زوجه وكلمها بعنف من أجل فرسه، وهو فيه عناد بلا شك لكن عناده دافعه إليه أسباب بينها ووضحها لها، وهى فى مجملها من طباع الرجل الحر حين يتحلى بها ووصفه حين يعتدل فيها، وهل يوجد شئ يقيد الأحرار مثل الواجب والدَّين؟. . . . إنه مدين لهذا الفرس بحياته وواجبه نحوه حسن رعايته وهذا أقل واجب تجاهه. . . . لكن ما أسباب المنع الذى تريد زوجه؟

وهل ترقى أسبابها لتنافس أسبابه فيمنع الغبوق عن ذاك الفرس؟ ويمتنع عنه؟ إن قيـد الواجب نابع من نفس الحر ولابد أن يوفيـه، والدين قد يكسر هامات الرجال حتى يؤدَى وافياً. . . .

وكـلاهمـا الواجب والدَّين إذا وفـيـا ارتاحت النفس وعـادت إلى طبيعتها وهذه هى حرية الطبع. . . .

أما حب عبلة فأولى تفسير له أنه اختيار نفسى ترك طبيعته لتختار له الحب فاختارت له تلك الفتاة لا لأنهـعا ابنة عمه ولا لأنها من السادة الأحرار، ولا لكونهـا أداة الوصول إلي الحرية أو وسيلة للتـمرد على سادته! لا هذا ولا ذاك بل لأنها تلك الفتاة التى رأي فيها جمالاً يتمناه ورأى فيها مطلب الرجل من المرأة وقد هـدأت النفس إليها ومالت لها فلماذا يحرم نفسه منها وليس هناك سبب يوجب ذلك بل كل الأسباب توجب عكس ذلك وتلك هى حـرية النفس وهو حين يدخل المعـركة ويختار رؤوس القوم وصناديدهم المُعلَّمِين يكافئ نفسه بالحقيقة قبل أن يكافئـها بالفـخر ، فالفـخر مـوجود على أى وضع لكن لذته مـعلقة بالحقيقة والحقيقة لا توجد إلا فى هذا الوضع فكيف يسعد بالفخر ولا يسعد بحقيقته. . . .؟

والحقيقة التى نعنيهـا أن تكون البطولة صادقة لما أعدت لها ولما قيل عنها فإذا كان الواقع بعيداً عن القول تزعزعت نفس البطل واضطربت بطولته وهيبتـه لأنها فقدت مصداقيتهـا فى نفسه أولاً وتلك هى حرية الأخلاق والواجب.

وإذا تركنا هذا لنتـحدث عن ديوان عنتـرة الذى قيل عنه أنه أغـانى نرجسية ففيه دليل على حرية العـقل والتفكير يتنافى وجمود النرجسية

وفيه دليل على حرية الإبداع يخالف خـوفها المحموم، وحرية الإبداع تتوازن مع العقل والنفس بقـدر ما توزان قيمتهـا . . . . فديوان عنترة متفرد بين دواوين الشعر الجـاهلى يمتاز بأنه أقر بها إلينا فى عصرنا هذا كمـا كان هو الأقرب لأى عصـر وهذا الديوان هو حقيقـة عنترة الآن وصفة وجوده ومعناه، ولقد سعى عنترة فى ديوانه هذا لأن يكون حراً فلم يتكلف الشعر بل جـاء طبيعياً كـما أحسه واستشـعره وفاضت به نفسه فجاء سهلاً من حيث لفظه ومـعناه وجاء معبراً عنه أصدق تعبير وجعل ديوانه سجلاً دون فيه يومياته كما جسد فيه قصة حبه لعبلة فى تحد وجرأة غـير معهودة لغـيره من الشعراء ، وجعـل بطولاته الحربية والفخـر بها نوعاً من الصراع مـع سادة عبس، علاوة على أنه جـسد هذه البطولة فى شـعره ليـرهب به الأعداء، وكـان منطلق كل هذا لا النرجسية التى حدثنا عنها صاحبنا بل عـشقه للحرية وحبه لها وتمثلها فى كل موقف من مواقفه لذا فهو حين أقدم على كل هذا أقدم فى ثقة لأنه تكلم عن حـقائق يعلمهـا الجميع فـقد شاهـدوا وعاينوا صدقـها وتصديقـها ، واستطاع من خلال كل ذلك أن يوظف الشـعر لقضـيته الأساسية قضية الحرية فنجح فى ذلك أيما نجاح.

قلنا فى بدء كلامنا عن مفتاح شخصية عنترة :

فما من مفتـاح ظهر لهذه الشخصية إلا وكان مقـدمة تسلمك لغيره حتي تصل بك إلى مفتاح هو المفتاح الذى تُجدُّ فى البحث عنه، وتجد كلَّ المفـاتيح تتـعلق به إن وجـد أدت دورها وإن غاب فـلا دور، ولا فائدة منها وهى فى أداء دورها تؤكد على أصـالة هذا المفتاح وجدارته وحقاً هذا فإنك لو سرت مع عناد عنترة، أو أنك سرت مع تمرده سيراً

طبيعياً بلا تكلف للعناد أو للتمرد فلابد أن يسلمك لعشق الحرية لأنها هى الدافع الأول والدافع الأخير فى حياة عـنترة ، مفتاح لا ينبئ عن نفسه من أول وهلة بل يجعلك تبحث عنه من كل وجه حتى تلقاه من كل وجه، فـإذا أنت وجدته من جانب العناد وجدته من جـانب القوة التى تمتلك أسبابها وتمتلكها أسبابها بنتائج ينشدها كل من يحمل عقلاً يبـتدره التـفكير إلى الصـواب، أمـا وإنك إن ذهبت لتراه من جـانب النرجـسية وعـشق الذات المرضى لن تجـده لكن قد تجـده من جانبـها الطبـيعى جـانب الإعجـاب وليس عيـباً أن يعـجب المرء بنفسـه طالما يستحق هذا الإعـجاب وأخيراً لو أنك ذهبت لتراه من جـانب المخالفة وجدته آتيك من جانب المتـعة واللذة. . . . وهو حين يأخذك من هذه الجوانـب ويكشف لك عنها يريك أن قـيمـتهـا ليست لذاتهـا بل فى ارتباطها بالحرية وعشق الحرية.

فلم تكن حياة عنترة إلا تجسيداً لهذا العشق وانطلاقاً منه فى كل أمر من أمور حياته. . . . . .

* * *

الفصل الحادي عشر

النهايـــة

ما زلتُ أنصف خصمى وهو يظلمنى

حتى غدا من حسابى غيرَ منتصف

آن للشمس أن تغيب فقد حان وقت الزوال، ولم يكن لهذا الطود أن يستمر راسخاً بلا انهيار وسهام الموت تلقاه من كل وجه تحمل له أحقاد قلوب سوداء عصف بها الحزن وعصف بها الحقد والحسد فكادت له بكل كيد خبيث فهى تلقاه مرغمة وقد تحمل له بجانب ذلك إعجاباً وإكباراً لأنه لا مفر من أن تلقاه ويلقاها فما هذه الحياة إلا صراع من أجل الحياة أو هو صراع من أجل الموت، وكلاهما وجهان فى عملة واحدة وتشترى بها نفوس الورى.

من الناس من قاتل عنترة مرغماً كارهاً للقتل. ولو خير لاختار لأعدائه الحياة واختار الموت فما جعلت حياة إلا ليعقبها موت وفناء وما علت قوة إلا ليعقبها من الضعف ألوان وقد يأتى النصر فى صورة الهزيمة التى ليس من ورائها بقاء فما ملأ المداد قلماً أو سطر قرطاساً إلا ليختم بنهاية وفناء.

.... وقد آن للسيف أن يبترد غمده ولو لم يفعل لسال من كف فارسه التى احتملها كثيراً حتى يذوب قطرات فضية تمتزج بدمائه على

أرض المعارك عـشقاً وولهاً فـيه، لكن الفارس أشـفق عليه فمـا جعل الموت له نهاية ولو كان ما تخلي أى منهما عن صاحبه. . . . كذا هذا الفرس آن له أن يستريح فيعتزل حـياة الصراع والقتال ولو خير لاختار الموت مع فارسه لأنه لن يعلو صلبه مـثل عنترة برغم ما ذاق من عنترة فلقد اكتـسب منه صفات يعجـز أن يعثر على شبـيه له فى هذه الدينا وهذا الورى، وها قد حانت السقطة التي ليس منها ولا بعدها قيام بل رقود تحت الثرى وها قـد جاءت الطعنة التى لا برء فيهـا، فلقد كانت الطعنات قبـلاً تملأ جسده قوة واحـتمالاً فمـا لهذه الطعنة ترديه. . . . ألأنها غادرة؟ أم لم يعـد ذاك القلب يحمل دقات تنبض فـتقوى على صراع الحـياة فـأسلم نفـسه للمـوت فى راحة واطمـئنان؟ أم ترى أن الفارس قد ملّ الحياة فآثر عليهـا راحة الموت منعزلاً فى لحده يكفيه ما حصَّل من مجد وخلود؟. . . . أتى الموت الذى طالما هدده عنترة كثيراً لكنه لم يأت مواجهاً بل جاء من خلف ظهره يتخفى بليل لينقض عليه وتسرب إليه فى سكون أصفر حتى نسج عليـه شباكه الزرقاء ، وألقاه على شفـير قبـره بين عالم الأحيـاء وعالم الأموات لكن عنتـرة أسرع بإملاء وصـيته فى غيـر حرج ليعيش مـوتا هادئاً فنادى : ثأرى يا بنى عبس ودمى وآه أن يترك دم عنترة بلا ثأر ، وداعاً أيتـها الحياة وسلاماً أيها الموت فغـدا ألقاك ، ومد يـده ليتناول كأساً طالما سقى منها رجالاً وأبطالاً وقد حان وقت شرابه منها فلـيشرب حتى يمله الشراب فى لذة حتى تمله اللذه، وخـرَّ الفارس وبيده صـرخات متـألمة حزينة تريد أن تصرع فى عالم السمـاء بمقتل عنترة لكنه وئدها لتستقر مـعه فى قبره، وهنا تقاطرت عليـه ذكريات من عالم الماضى كغيـث يطهره من آلامه

وأنبتت فى نفسه شجرة الرضا وأثمرت له الحكمة التى طالما حدثنا عنها:

أيـن من المنيـة مهربى إن كان ربى فى السماء قضاها

فضحك ثم نظر إلى قبره فإذا هو مسروراً ضاحكاً استعداداً لمقدمه فليس يدرى عنترة كم يحمل هذا من شوق له وتساقطت دموعه أن آن مقدم الفارس الرئبال وسريعاً سريعاً ضمه إليه وأخذ يواريه عن عيون الورى والزمان يلاحقه لكن هيهات فهذا خلود غير قابل للنسيان والضياع. . . .

قال الراوى :

أمامنا فى موت عنترة روايات عديدة لن نسأل عن تعددها لما تعددت؟

ولسنا على يقين من صحتها أو خطئها. . وأسباب ذلك ما هى؟

لكن كل ما نعلمه أننا سنقف أمامها نتفحصها لنخرج منها بمعنى تقذفه إلينا أو دلالة ترشدنا لشئ. . . . وليس منهجنا البحث وراء صدق الرواية أو كذبها فى حد ذاته هو المنهج الذي توخيناه لأننا لا نعرف شيئاً عن ظروف تدوين تلك الروايات ، وهذا ما سرنا عليه فى عملنا هذا لأننا نحاول أن نصنع أدباً من خلال ملامح من نترجم له لذا نقترب كثيراً من أدبهم، وليس معنى ذلك أننا نتعمد إهمال الروايات أو نتخير الكذب ونتحراه لنتم به هذا الأدب. . لا فما لهذا نسعى مطلقاً وليس هو من طبيعة عملنا هذا، كذا ليس من طبيعة هذا العمل حصره على ما روى الرواة فى كتب الأدب بل نستعين بها إلى

حد ما وبالشعر فهو عندنا أصدق وعن صاحبه أبين، وقد نأخذ رأياً واجتهاداً يمد الموضوع بفكرة تستحق الدرس أو نرى جديداً أو طريفاً يجمل بنا الوقوف له، ولسنا فى نهاية المطاف قلقين من كل هذا الكم والإختلاف فكم توقعناه وتوقعنا الكثير مما تعودنا فى مسارنا مع عنترة. . . . ولسوف نبدأ من هنا بعرض الروايات التى تحدثنا عن موت عنترة. . كيف كان؟

أولاً . . . . روى أبو عبيدة : إن عنترة قد أسن واحتاج وعجز بكبر سنه عن الغارات وكان له على رجل من غطفان بكر فخرج يتقاضاه إياه فهاجت عليه ريح من صيف وهو بين شرج وناظرة فأصابته فقتلته. . . . . .

ثانياً . . . . . . قال أبو جعفر : غزا عنترة طيئاً وقد رق بصره، ولم يكن يومئذ يستطيع القتال وانهزمت طيئ فخر عن فرسه وربيئه لطيئ فوق الجبل فلما خر دخل غلا وأبصره الرجل فدل عليه قومه فساروا إليه وأخذوه، وجاء الذى أخذه وهو جالس فرماه بسهم فستر عينيه - أى خرقها - وقال فى ذلك :

إن ابن سلمى فاعلموا عندّه دمى
وهيهات لا يُرجَى ابنُ سلمى ولا دمى

يحل بأكنافِ الشعاب وينتمى مكانَ الثريا ليس بالمتهضم
رمانى ولم يدهشْ بأزرقَ لهذم عشيةَ حلوا بين نعف ومخرم

ثالثاً .... ذكر صاحب الأغانى : أغار عنترة على بنى نبهان من طيئ فأطرد لهم طريده وهو شيخ كبير فجعل يرتجز :

حظ بنى نبهان منها الأثلب

كـأنمـا اثـارهـا لا تعـجـب

آثـار ظـلمـان بقاع مجدب

وكان وزر بن جابر النبـهانى فى فتوة فرمـاه قائلاً : خذها وأنا ابن سلمى، فـقطع مطاه، فتـحامـل بالرميـة حتى أتى أهلــه وقال وهـو مـجـروح :

وإن ابـن سلـمـى فاعلموا عنده دمـى

هيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمى

يـحـل بأكنـاف الشـعـاب ويـنـتــمـى

وكــان الثـريــا ليـس بالـمـتـهـضــم

رمـــانى ولـم يـدهـش بـأزرق لهـــذم

عشيــة حـلوا بـيـن نـعـف ومـخــرم

رابعاً . . . . قال أبو عمـرو الشيبانى : إن عنترة غـزا طيئاً مع قومه فانهزمت عبس فخر عنترة عن فرسه ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب فدخل دغلاً وأبصره ربيئه طيئ فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه فقتله.

خامساً . . . . إن طيئاً تدعى قتل عنترة بيد فارس منهم يدعى الأسد الرهيص وقال فى ذلك :

أنا الأسدُ الرهيصُ قتلتُ عمرا وعـنـتـرةَ الـفوارس قد قتلت

فـإن تجـزع بـنـو عـبـس علـيه فـإنى لا وجــدك ما جـزعت

ضربت قذاله بالسيف صلتاً وكانتْ عادتي ذات استعدت

ويؤيد ذلك ما قاله زيد الخيل - أحد الصحابة - رضوان الله عليهم - في محضر الرسولﷺ مجاوباً لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ومنا الأسد الرهيص سيد بنى جديلة ومدوخ كل قبيلة قاتل عنترة فارس بنى عبس ومكشف كل لبس .

وبعد أن عرضنا روايات موت عنترة لن نجد من ينكر أن التناقض والإضطراب بادٍ فيها بصورة كبيرة لا تجعل مكاناً وفرصة للجدل عنها أولها لاختيار إحداها.

لكن برغم ذلك ومن خلال هذا الاضطراب والتناقض وجد ما أجمعت واتفقت عليه تلك الروايات .... ومنه :

أولاً .... أن عنترة قد مات مقتولاً.

ثانياً .... أن قتل عنترة قد تم وهو فى سن العجز والكبر والشيخوخة

ثالثاً .... أن قتل عنترة قد تم ووقع فى أثناء غزوة على طيئ أو طراد عليها.

رابعاً .... أن قاتل عنترة هو ابن سلمى الذى يسمى الأسد الرهيص.

أما عنترة قد مات مقتولاً فهذا شئ لن نخالف فيه أصحاب تلك الروايات وأن قاتله هو ابن سلمى فهذا أيضاً مما لا نستطيع المعاندة فيه لأننا لم يتطرق إلينا شك فيما وصلنا من شعر عنترة والأسد الرهيص فى ذلك :

لكن ما نعاند فيه أن يكون عنترة قد قتل فى غزوة أو طراد.

وما نعاند فيه أن يكون عنترة قد قتل فى سن الشيخوخة والكبر

وما نعاند فيه أن يكون قتل عنترة قد تم بعيداً عن يد بنى عبس.

* اغتيال عنترة :

قلنا قبلاً فى حديثنا عن عنترة الفارس : إن عنترة كان حينما يدخل المعركة يتدرع بمجموعة من فتيان عبس وهذا ما جعل له سيرة أطول من غيره وأعرق فى خوض غمار المعارك بنى عليها مجده.

والذى نطمئن إليه ونأبى أن نتنازل عنه هو أن اغتيال عنترة قد دبر بليل وتم وعنترة يسير منفرداً كعادته . .

وأنا سريت مع الثريا مفرداً   لا مؤنس لى غير حد المنصل

ودلائل عديدة .... منها :

أولاً ...... إن قتل عنترة قد تم ليلاً

رمانى ولم يدهش بأزرق لهذم   عشية حلوا بين نعف ومخرم

فهذا القائل قد رمى عنترة وقت العشية والمعروف أن قتال العرب كان يقع نهاراً ولهذا فقد سميت حروبهم بأيام العرب.

ثانياً .... تسمية القاتل نفسه لعنترة.

.... «خذها وأنا ابن سلمى»....

فيه دليل على شدة الظلام وكثافته وعلى انفراد عنترة ولذا فقد حرص القاتل على تسمية نفسه لعنترة كنوع من الفخر والتحدى .

ثالثاً . . . . تعجب عنترة.

رمانى ولم يدهش بأزرق لهذم عشية حلوا بين نعف ومخرم

فعنترة هنا يتعجب من شيئين :

أ ـ أن قاتله لم يفزع حين وجه سهمه لعنترة.

ب ـ مهارة قاتله لأنه قد أجاد التصويب ليلاً.

لكن لسائل أن يسأل : وما المانع أن يكون عنترة قد أغار على طئ ليلاً ليستلب أنعامها كما قالت بعض الروايات. . ؟

لكن الذى يخرج ليستلب أنعام قبيلة طئ وهى من أقوى القبائل ومن أشد أعدائه لن يخرج منفرداً ، وما كان عنترة بهذا الحمق أو هذه السذاجة علاوة على أن طبيعة الموقف قد بينت لنا سيرة عنترة منفرداً لذا فلقد حرص قاتله على تسمية نفسه له ولأن عنترة ــ من جانب آخر ــ حرص حين رجع إلى أهله على تحديد قاتله بذكر اسمه فى شعر موته ولو كان معه أحد لأغناه عن ذلك.

لذا فما نطمئن إليه ونقنع به فى هذا الموضوع هو أن قاتل عنترة قد علم خط سيره أو هو تتبعه فى تلك الليلة وكمن له في مكان يناله منه ورماه فى ظهره من مرمى وهو رامٍ ماهر مدرب بحنكة على ما يقدم عليه.

لكن لسائل أن يسأل فيقول : إذا كانت الليلة شديدة الظلام فإنى لرام أن يرمى فيها ويجيد الرمى. . إن هذا بعيد مستبعد**!!**

والحقيقة أن هذا السؤال الشاك لا مجال له البتة فطبيعة الرامى الماهر تؤهله للرمى تحت أى ظرف ولو كان أعمى. . . . وما بالنا نذهب

بعيداً ونحن الآن فى مسابقات الرماية وألعاب السيرك نجد أناساً يرمون بأقواسهم وبنادقهم وهم معصوبى العينين وهم عندنا مهما وصلوا بمهارتهم لسيوا أمهر من رماة العرب القدماء.

اغتيال عنترة : -

الذى نطمئن إليه أن عنترة قد قتل فى سن الجلد والقوة فى عنفوان مجدة وأوج بطولته ولم يمتد به العمر إلى سن الكبر والشيخوخة - كما أجمعت على ذلك جميع الروايات، ولست أدرى لماذا تصر تلك الروايات على أن عنترة قد عمّر طويلاً حتى بلغ هذه السن ومن أين لهم - الرواة - بهذا، فما وصلنا من شعر عنترة والأسد الرهيص فى هذا الحادث يوحى بعكس ذلك ولهذا فإن ما ذهبنا إليه فى موت عنترة نبع دلائل منها.

أولاً .... إن ديوان عنترة ممتلئ كله بروح وحماس الشباب وعنفوان الجلد والقوة، وهذا دليل على أن عنترة لم يصل لسن الشيخوخة التي تعطى الحكمة وتقدمها فى المنزلة الأولى بما اكتسب من خبرات وتجارب الحياة.

ثانياً .... إذا كان عنترة قد امتنع عن القتال للكبر والهرم فهل امتنع أيضاً عن قول الشعر.... حيث لا يوجد فى شعره حديث الذكريات والحنين لعهد الشباب الذى هو مجده وفخاره.. وكيف لا، والشيخ لا يملك من دنياه إلا هذا؟!

ثالثاً .... إن استحواذ عبلة على معظم ديوان عنترة لهو دليل أكيد على أن هذا الديوان وليد مرحلة معينة لم يتخطاها إلى غيرها،

ومستحيل على شاعر أن يظل يحب امـرأة ويترنم بها طوال حياته عبر مراحلهـا المتعددة بروح واحدة وكـأنه وهى لم يخرجا من طور الصـبا والشباب.

وقد يقول قـائل : فهذا عمرو بن أبى ربـيعة مستـحيل على قارئ ديوانه أن يتلمس عمـره وسنه من شعره فإن روحـه روح شاب مع أن لم ينقطع عن الشـعر ـ والغـزلى على الأخص ـ حتى مـات شيـخاً كبيراً.

ونقول لهذا لـقد صدقت وإن ابن أبى ربيعة لـم يحب امرأة واحدة طوال حياته وقصر حياته عليها، بل تخصص فى لون واحد هو الغزل بكل امرأة رآها أو سمع عنها فكان عليه أن يجيد الشعر كلما أبحر فيه فهو لا يعبر عن عاطفة بقـدر ما يصور فكرة فى رأسه وبقدر ما يصف حياته التى جـعلها مثلاً للهو والعـبث. . . . وأين كل ذلك من عنترة صاحب الهموم الكثيفة والأهوال العنيفة؟

وهذا نزار قبانى فى عصرنا الحديث الذى قـال فيه أستاذنا العقاد : نزار دخل خدر النساء ولن يخرج منه.

وصدق العقـاد فلقد ولد نزار لهذا الخدر ومات فـيه، وكانت المرأة مـحور حـياته ومـركز اهتـمامـاه وجـسدها مـؤشر قـضاياه الأدبيـة والسيـاسية. . لكن هل التـزم نزار لامرأة واحدة بعيـنها وقصر نفـسه وأدبه عليهـا؟ إن نزاراً أحب المرأة ولم يحب امرأة بعينهـا كذا ابن أبى ربيعة علـى اختلاف فى طبيعـة هذا الحب بينهما، ثم إن كـلاهما قد تزوج من امرأة قد أحبهـا حقاً فما محيط شعرهمـا فيمن أحبا؟ القليل

والقليل جداً وليس هذا بظلم وما هو بظلم لحبهما أو للشاعرين بل هو المنطق الطبيعى للحياة والحب.

رابعاً .... تسمية ابن سلمى نفسه لعنترة.

إن تسمية ابن سلمى نفسه لعنترة لهو دليل على أنه رماه من خلف، وجميع الروايات تصر على أن قاتل عنترة هابه فرماه بسهم، وكيف لشاب صاحب فتوة وجلد ومعروف بالقوة أن يهاب شيخاً كبيراً لا يقوى على القتال فلا يقاتله مقاتلة الأبطال ويجبن فيرميه من خلفه ثم يأتى بعد ذلك ليفخر بذلك؟

خامساً .... فلا وجدك ما جزعت..

إن قول الأسد الرهيص ـ فخراً بقتله عنترة ـ فلا وجدك ما جزعت لفيه دلالة أكيدة ودلالات بينة على أن عنترة كان فى عنفوان مجده وسطوة هيبته ويؤكد ذلك قول عنترة : رمانى ولم يدهش . فكلا القولين يؤكدان عن أن سن عنترة حين قتل هى سن القوة المهابة والبطولة المتفردة ويؤكدان كذلك على أن الترصد لعنترة كان ليلاً وكان معداً له ولو كان شيخاً ضعيفاً قد كبر سنه ورق بصره لما فعل حسابه أين ومتى يؤخذ ولما كان هناك فخر بمقتله خصوصاً من فارس بمنزلة الأسد الرهيص.

سادساً .... فشل الأسد الرهيص فى الإجهاز على عنترة

إن فشل الأسد الرهيص فى الإجهازعلى عنترة وقتله بعد ما رماه من خلف وتحامل عنترة على نفسه حتى عاد مجروحاً إلى قبيلته معناه أنه فى سن جلد وقوة لأنه واجه ابن سلمى بخبرته ومهارته القتالية

حتى أعياه وأنهكه فاكتفى الأسد الرهيص بما نال منه.... لكن كيف دار الصراع بينهما حتى اكتفى الأسد الرهيص بالرجوع دون أن يجهز على عنترة؟

إن الإجابة على هذا السؤال قد وصلتنا فى شعر عنترة وشعر الأسد الرهيص معاً وبرغم ذلك دعنى أقول أن هذا الشعر لم يصلنا تاماً كاملاً بل اقتص منه وعن عمد تم هذا.

قال عنترة :

رمانى ولم يدهش بأزرق لهذم　　　عشية حلوا بين نعف ومخرم

قال ابن سلمى :

ضربت قذاله بالسيف صلتا　　　وكانت عادتى ذات استعدت

لكن الغريب حقاً أن مقتل عنترة لم يُجسد فى الشعر العربى بالصورة التى تليق ببطولته وشاعريته ومجده وخصوصاً عند شعراء عبس وطىء وهذا الإهمال يثير كثيراً من الشك من جوانب عدة..!!

ونعود إلى الشعر الذى معنا فى مقتل عنترة أضرب بسهم أم بالسيف؟

إن ابن سلمى لم يبتدىء عنترة مواجهةً بالسيف رجلاً لرجل لأنه يعلم جيداً ويدرك عدم مقدرته على تلك المواجهة فرماه أولاً حتى يضعفه ويحد من حركته ثم بعد ذلك نزل ليجهز عليه بضربات يجيدها ظناً منه بأن ذلك سهلاً يقدر عليه سريعاً لكن خبرة عنترة ومهارته وتمرسه بالمعارك علاوة على جلده وقوته الغير عادية لم تمكن الأسد الرهيص من مواصلة القتال ومواجهته أمام عنترة فارتد خائبا مكتفياً بما نال منه وبنجاته من سيف عنترة.

❋ **إغتيال عنترة :**

إذا تبين لنا هذا وكنا قد ألمحنا قبلاً أن ما نعاند فيه أن يكون مقتل عنترة قد تم بعيداً عن يد سادة بنى عبس ـ أو بعض سادتها ـ ولن نذهب مع من قال: إن عنترة قد طمح للسيادة على عبس ونازع سادتها سيادتهم ولامع من قال إنه سعى لتحرير العبيد وعمل على تمردهم على سادتهم. . فما هذه أخلاق عنترة ولا تلك طموحاته علاوة على أنه لم يرد شىء يدل على أن عنترة قاد ثورة للعبيد على قومه. . . . . لكنى دعنى أعرض عليك شيئاً من شعر عنترة حين يواجه متحدياً سادات بنى عبس ويعرض بهم ساخراً :

سمـوتُ إلى عنان المجـدِ حتى ... علوتُ ولم أجدْ فى الجو ساعى
وآخـر رامَ أن يسعى كـسعـى ... وجـدَّ بـجـد يـبـغى اتـبـاعـى
فـقـصر عن لِحَاقـى فى المعالى ... وقـد أعـيـت بـه أيدى المـعـالى

ولـى بـيـتٌ علا فلكَ الـثـريا ... يـخِـرُّ لـعـظـم هـيـبـته البيوت

ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حـتـى أنـال بـه كـريـم المأكـل
إذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ... ألـفـيـت خـيـراً من فعم مخول

ولولا صارمى وسـنان رمـحى ... لما رفـعـت بـنـو عـبـس عمـاداً

فما كل من يشترى القنا يطعن العدا

ولا كـل من يلقـى الرجـال بفـارس

سموت إلى العلا و علو تُ حتى رأيتُ النجمَ تحتى وهو يجرى
وقوماً آخرين سعوا وعادوا حيارى ما رأوا أثراً لأثرى

يا قيسُ أنت تعد نفسك سيداً وأبوك أعرفه أجل وأفضل
فاتبعْ مكارمه ولا تذرى به إن كنت ممن عقله قد أكملا

أحولى تنفض استك مذوربيها لتقتلنى فها أنا ذا عمارا
حتى ما نلتقى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطاراً
وسيف صارم فبضت عليه أشاجع لا ترى فيها انتشارا

ستعلم أينا للموتِ أدنى إذا دانيت بى الأسل الحرارا
لعمرى ما الفخار يكسب مال ولا يدعى الغنى من الشراة

ومن لم يعش متعززاً بسنانه سيموت موت الذل بين المعشر

رغمت أنف الحاسدين بسطوتي فغدوا لها من راكعين وسجد

موت الفتى فى عزة خير له من أن يبيت أسيرَ طرفٍ أكحل
إن كنت فى عدد العبيد فهمتى فوق الثريا والسماك الأعزل
أو أنكرت فرسانٌ عبس نسبتي فسنانُ رمحى والحسام يقر لى
وبذابلى ومهندى نلت العلى لا بالقرابة والعديد الأجزل

وهذا الشعـر قليل من كثيـر فى ديوان عنترة فلقد كـان هناك صراع غير خفى مـا بين عنترة وبنى عبس، هم يحسدونه حـقداً على مجده وبطولاته وشدة بأسه وشجاعتـه ويرفضونه كحر بينهم ولم يتناسوا قط عبوديته فـيتعمدون قذفـه بما يسوؤه وهو لا يأبه لشىء من هذا ويعيش حريته كما يطمئن إليهـا وكما يحلو له بدون أن يحسب حساباً لهؤلاء الذين يدعون السيادة والعزة بل يتعمد إهانتهم فى كل موقف تختبر فيه الرجولة ويختبر فيه المجد فإذا حانت لحظة مواجهة ولقاء كبلهم الخوف و الجبن فيرمـيهم عنترة بما يشف نفـسه ويؤلم نفوسهم بجـروح مهينة وندوب سافرة،والأيـام تجرى سريعاً ومجـد عنترة يسبقـها بما يهىء له مكانة غير طبيـعية لا فى عبس وحدها بل فى شبـه الجزيرة كلها حتى ليكاد يقـتلع سلطانهم وسيـادتهم عن بنى عـبس فلا تذكـر عبس إلا وعنترة يذكـر معها وكـأنه رأس القبيلة، والخـوف على السلطان معلق بالنفس بصـورة مـقلقة فـمـاذا لو دعا بيت شـداد إلى سـيادة عـبس خصـوصاً وإن بيت شـداد ليس أعلى بيوت عـبس ولا لهم سيـادتها ورئستها لكن لو دعاهم عنترة للسيـادة ما توانى منهم صغيرٌ ولا كبيرٌ، كذا لو حـرض عبيـد الأرض ودعاهم لاتبعـوه سريعـاً وها هو عنترة يسعى لتحريـر أخويه من العبودية وقصة ذلك مشـهورة بديوانه ــ وقد نجح ــ فما يمنعه غداً من تحرير كل العبيد؟

وبعد كل هذا فـهل يظن أن كل هذا لم يدفع سادة عـبس للخوف على نفوذهم وسلطانهم؟

ثم ما بالنا نذهب بعيداً فى هذا الظن وهذا التخمين ومعنا ما يؤكده من حـديث لقاتل عنتـرة« الأسد الرهـيص» يقول لنا ــ بصـورة غيـر مباشرة : ــ

فـإن تجـزع بنو عـبس عليـه!! والمـعـروف عن «إن» تفـيـد الشك والإحتمـال فالرجل يشك أن يحزن سادة عـبس على عنترة لأنهم هم مدبرى هذا معه.

وأخيراً إن عداوة قبائل العرب لعنترة عـداوة طبيعية تتعايش ومنطق شبـه الجزيـرة فى ذلك الحين، لكن عداوة عـبس لعنترة عـداوة غيـر طبيـعية وغـريبة على منطق الحيـاة وهكذا حينما تكـون النهاية تكون القناعة بأنه لا مـزيد فى الأحداث والعمر والزمن سواء كـانت النهاية قتلاً أو هى موتاً طبيعياً فهى نهاية قد حددت قبلاً بسر عظيم لسنا على علم بتفسيره أو معرفة خوافيه.

ودعنى أيها القارىء أقولها: إن مقـتل عنترة بيد سادة عبس هو أول حادث إغتيال سياسى موثق فى التاريخ العربى

أحمد شرف الدين

* * * * *

الفهرس

ذهب للكمبيوتر والطباعة ت : ٢٠٤١٧٨٣

أيها القارئ الكريم ...

دعنى أعتذر إليك وأظهر لك الأخطاء التى وقعت فى كتابى **عبقرية عنترة** فى طبعته الأولى ، وإنى إذ أتقدم إليك معتذراً أبتغى الصواب فى الرجوع إلى الحق وأبين لك أن تلك الأخطاء منها ما هو وليد خطأ بالفهم مثل حديثى عن المرأة وتعميم أحكامى عليها بصورة مجحفة ومنهـــا خطـــأ وليد السهو وآخرها هو الخطأ المطبعى الذى لن تحار فى تداركه بسهولة ويسر .

ص	س	الخطأ	الصواب
٩	٤	ورائها	وراءها
١٢	٢	يزود	يذود
١٢	١٩	صورته لجل فى عين	صورته فى عين
١٢	٢٠	والراوى كل تلك	والراوى لكل تلك
١٣	٣	فإرتابت	فارتابت
١٣	٦	وأحلامه طفولته	وأحلام طفولته
١٤	١٠	-وهم كثر فى ذلك شئ	-وهم كثر- فى ذلك شئ
١٤	١٣	وكبرائها	وكبراؤها
١٤	١٤	وكبرائها	وكبراءها
١٥	٢١	لنقوْم	لنقوْم
١٦	١٣	فصدتها	فصدقها
١٨	٤	الزود	الذود
١٨	٩	عدائهم	عداءهم
١٩	٢	الزود	الذود
٢٢	٣	بل بلكون	بل يكون

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٣	١٥	من خالص ابناءتها	من خالص ابنائها
٢٣	١٧	ولأبناءها	ولأبنائها
٢٤	٤	على أبناءها	أبنائها
٢٤	١٩	وتلائمه	تلاؤمه
٢٦	٨	وتظهر جانب	وتظهر جانباً
٢٦	١٢	أعدائه	أعداءه
٢٧	٥	اعدائه	اعداءه
٢٩	٩	المجتم	المجتمع
٢٩	٩	وبقاءها	بقائها
٣٠	١٨	له به	له بل
٣٣	١٠	صنما	صنمى
٤٢	٧	ثنامها	سنامها
٤٣	١٣	ووفاءه	ووفائه
٤٣	١٥	أقصى	أقصر
٤٤	٢٠	نساءه	نسائه

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٥	١٦	فكأن	كان
٥١	١٠	حجناهم	صبحناهم
٥٤	١٢	التغيرات	التفسيرات
٥٤	٢٠	ظروف	ظروفاً
٥٤	٢١	فطمت	فعملت
٦٢	١٧	بقدمات	بمقدمات
٦٢	١٧	ومجد هو موت	ومجده وموت
٦٤	٢	المهانة	المهادنة
٦٥	١١	لم ينالها	لم ينلها
٦٥	١٤	قناعة	اقتناع
٦٥	١٦	قناعة	اقتناع
٦٥	١٨	لقناعتنا	لإقتناعنا
٦٦	٧	ووئده	ووأده
٦٦	٩	شيئاً	شيء
٦٨	٩	وادى	ودادى
٧٥	١٢	نفسوا	نفوساً
٧٧	٦	فيلس	فليس
٧٨	١٦	لإن	لئن
٧٩	٥	ستنتب	ستنتسب
٨١	١٣	بلاءه	بلاؤه
٨١	١٨	حبا	حب
٨٣	٤	من عن الكذب	عن الكذب
٨٣	١٥	العشراء	الشعراء
٨٤	١٨	جائزة	جائرة
٨٥	١	مواقفاً	مواقف
٨٧	٢	فلترميه	فلترمه
٨٧	١٥	ضائع ذليل	ضائعاً ذليلاً
٩٣	٢٠	مواقفنا	مواقفها
٩٤	١٩	المطابقة	المطالبة
٩٥	١٦	وراءه	وارئه
٩٥	١٧	نداءه	ندائه
٩٥	٢٠	يقربها	تقربها
٩٨	١٢	وغير	وبغير
٩٨	١٤	جليلة	جلبَة
٩٩	٨	يوقولون زواج	يقولون بزواج
٩٩	١٦	عناك	هناك
٩٩	١٨	آحرقتنى	احرقتنى
١٠١	٥	قناعة	اقتناع
١٠١	١٧	ما تصوبه	ما يصوبه
١٠٤	٩	كما أن المرأتين	كلتا المرأتين

ص	س	الخطأ	الصواب
١٠٤	١٠	قريباً من	قريبٌ من
١٠٥	١	تبادله	تبدله
١٠٧	٧	وليس	وليست
١١٠	٨	متضافع	متضاعف
١١٠	١٠	لأنه	لأنها
١١٠	١٤	مم	لم
١١٠	١٨	حيث	حين
١١٠	١٩	نجده حبه	نجد حباً
١١٠	٢٠	غضب ثورة	غضب وثورة
١١١	١٥	فيعلى	فعلى
١١٢	٢٠	وكان	وكأن
١١٤	١٥	ولوم	ولوماً
١١٩	٨	وفاؤه	وفائه
١٢٠	١	يقده	قيده
١٢٣	١٥	المرأة مهماً	المرأة عاملاً مهماً
١٢٤	٩	عنترة خلق	عنترة وخلق
١٢٤	١٣	ومن قال نسى	ومن قال هذا نسى
١٢٥	٢١	ومؤرخين	ومؤرخيه
١٢٦	١	الشاعر	الشعر
١٢٦	٣	قناعتنا	اقتناعنا

ص	س	الخطأ	الصواب
١٢٦	٨	لحظة	لخطة
١٢٧	٧	المعلاقات	المعلقات
١٢٩	٥	شيئا	شئ
١٣٢	١١	ولا	لا
١٣٢	١٩	قناعته	اقتناعه
١٣٦	١٨	فكأن	فكان
١٣٧	١١	قتال عشوائى	قتلاً عشوائياً
١٣٧	١٤	لقاءها	لقائها
١٣٧	١٩	لقناعة	لاقتناع
١٣٨	١٤	الإسنان	الإنسان
١٣٨	١٥	أو الموت	أما الموت
١٤٠	٢	هذه القناعة	هذا الإقتناع
١٤٢	١٢	اعدائه	اعداءه
١٤٣	١٧	جانب	جانباً
١٤٤	١٤	الوضوع	الوضوح
١٤٥	٢٢	لم تحتج	لن تحتاج
١٤٥	٢٢	الجزية	الجزيرة
١٤٧	٨	واتاسعه	اتساعه
١٤٨	١٣	وصفا لازما وطبعا	وصف لازم وطبع
١٤٨	١٧	قناعة	اقتناع

ص	س	الخطأ	الصواب
١٤٨	١٩	شئ	شيء
١٤٩	٣	مجردا منه بعيدا	مجرد منه بعيد
١٤٩	١٣	كبرياؤهم	كبرياءهم
١٤٩	٢٢	طرف	طرفى
١٥٠	١٥	يدافع فى	يدافع عنه فى
١٥١	١	آخرا	آخر
١٥١	٢٢،٢١	تخيل أفضل الناس	تخير أفضل النساء
١٥٢	٦	آخراً	آخر
١٥٢	١٠	البعودية	العبودية
١٥٢	١٧	لقناعنا	لإقتناعنا
١٥٢	٢٠	المنفس	النفس
١٥٣	٢	شئ	شيء
١٥٦	٧	يقنعنا	لإقتناعنا
١٥٦	٩	ما منعمه	مانعه
١٥٦	١٠	وفاءه	وفائه
١٥٦	١٥	مبدأه	مبدئه
١٥٦	١٨	نقنع	نقتنع
١٥٦	١٩	من من	من
١٥٦	١٩	آخراً	آخر
١٥٧	٧	قنعت	اقتنعت

ص	س	الخطأ	الصواب
١٦٣	٣	حسابى	حسامى
١٦٣	١٠	وتشترى	تشترى
١٦٤	٢١	تصرع	تصرخ
١٦٤	٢١	وندها	وأدها
١٦٦	١٣	غلا	دغلا
١٦٧	٨	وكان	مكان
١٦٩	١٤	القائل	القاتل
١٧٠	١٨	فباتى	فاتى
١٧١	٣	لسيوا	ليسوا
١٧١	٥	فى عنفوان	وفى عنفوان
١٧٢	٥	مع أن	مع أنه
١٧٢	١٧	اهتماماه	اهتمامه
١٧٢	٢٠	كلاهما	كليهما
١٧٥	١٥	فعم	معم
١٧٧	١٥	ورنستها	ورنلستها
١٧٨	١	"إن" تفيد	"إن" أنها تفيد
١٧٨	٣	مدبرى	مدبرو